الطُرُق الشرقية القديمة
للتخلّص من الحرّ

تصميم الغلاف

طارق يـزبـك

إحياء ونشر التراث العربي

« ٢٠٤ »

الطُرُق الشرقية القديمة

للتخلّص من الحرّ

في بلاد الشام وما بين النهرين
وشبه الجزيرة العربية والخليج العربي
وبعض بلدان آسيا وشماليّ إفريقية

نادية الغزّي

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة دمشق ٢٠١٧م

الطرق الشرقية القديمة للتخلص من الحر :في بلاد الشام وما بين النهرين ... ادية الغزّي . ـ دمشق : الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٧ . - ٢٨٠ ص؛ ٢٤ سم .

(حياء ونشر التراث العربي؛ ٢٠٤)

١ - ٣٩٠,٠٠٩٥٦ غ ز ي ط　　　٢ - العنوان

٣ - الغزي　　　٤ - السلسلة

مكتبة الأسد

ما ذُكرَ عن الماء في القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾

[الأنبياء :٣٠]

﴿ خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَراً ﴾

[الفرقان :٥٤]

﴿ إِلَّا بَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاء ﴾

[الرعد :١٤]

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَق السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء ﴾

[هود :٧]

الإهداء

إلــــى المـاء

الصمت مُطْبِقٌ إلاّ صوت الماء

من الماء، كلَّ شيءٍ حي

مقدّمة

تعتبر منطقة الشرق الأوسط، ومنها بلاد الشام وما بين النهرين والجزيرة العربية، من البلاد ذات الإقليم المعتدل المائل للحرارة، بل هو شديد الحرارة في بعض المناطق ـ وهي مناطق واسعة شاسعة أغلبها يقع ضمن المناطق الصحراوية المدارية ـ فالمناخ متعدد، وتغلب عليه صفة المناخ ذي الشموسية العالية ـ وتسكن في هذه المناطق أمة تتعايش مع الحر والقرّ، فقد يكون الحرّ شديداً في بعض المواسم الصيفية القائظة، لكن المنطقة المتوسطية بعامة تتمتع بالفصول الأربعة التي تراوح بين الحرّ الصيفي اللاهب، ورطوبة الخريف الدافئة، وبرد الشتاء الذي تختلف شدّته بين عام وعام، بل إن المواسم كما يقال تتغيّر كلّ سبعة أعوام ـ ثم تأتي رياح الربيع الدافئة التي تعلن عن نفسها ، متخطّيةً البرد ـ نحو الحرّ ..

* * *

وبادية الشام تمتد من ضفاف الفرات جنوباً حتى شبه الجزيرة العربية حيث تكون درجات الحرارة أعلى منها في بلاد الشام ـ وتسقط أشعة الشمس عمودية في فصل الصيف على هذه المناطق الموجودة بين الحدّين الوهميين لأعلى خط الاستواء ومدار السرطان، حيث تعيش

الكثير من الأمم ويقع كثير من البلاد منها «بلاد الشام» و «ما بين النهرين» و «شبه الجزيرة العربية بما فيها الخليج العربي» وبعض بلدان آسيا، مع اختلاف البُعد أو القُرب من خط الاستواء في الجزيرة العربية الكبرى وصولاً من المحيط أو بحر العرب كما يُدعى القريب منه .

* * *

كلما اتجهنا شِمالاً ازدادت المناطق الجغرافية اخضراراً، وكثرت فيها الغابات والجبال التي تشرف على المتوسط، أو تشرف على دول الشِمال، أو تكون جزءاً من تضاريس البلاد الداخلية . وتنفرد بعض الجبال باستمرار وجود الثلوج صيفاً في قِممها وجرودها .

* * *

وبلاد الشام ومناطق ما بين النهرين تُعتبر مناطق أنهار متعددة ومتصالبة الاتجاهات، تتعامد أو تتوازى في المنطقة حسب الانخفاضات والانحدارات الجيولوجية، مما يعطي البلاد رطوبة مائية وقدرة زراعية وكثافة شجرية تساعد السكان على تحمّل الحر الصيفي الشديد أحياناً .

وتبقى مناطق البادية الممتدة نحو العراق والهابطة نحو الأردن فشبه الجزيرة العربية أكثر تعرضاً لهجمات الرياح الرملية الحارة، باستثناء بعض المناطق الجبلية العالية كمناطق (جيزان) و (أبها) و (جبال اليمن) و (جبال عُمان) فهي تتمتع بإقليم بارد، ويتكاثر الضباب في بعض شواهقها .

* * *

الإنسان والطبيعة

بأمر مرصود تتقلّب الطبيعة، ويحاول الإنسان بماهية الصراع الدائم التفاهمَ مع هذه التقلّبات، ويهمّنا منها الآن : ماهية التغلّب على الحر .

مبهمة هي العلاقة بين الإنسان والطبيعة، فهي تحيط به، وهو يحاول الإحاطة بها . هي تحاول أقلمته وترويضه . وهو يحاول ترويض نفسه وبعض ما يستطيعه، ليحمي نفسه، وليعيش ضمن ظروف تحيط به بسلام .

أمّا تقلّب الفصول بين برد وحر، فمرهون بالمواقع الجغرافية، وبالأحوال السماوية، وبتقلبات الرياح والرمل والبحار؛ وبسطوة الحرّ إذا سطا في النهار، وبمزاجه المتغيّر بين شدّة البرد والحرّ بين الليل والنهار .

* * *

وعلينا أن نقرّ بأننا أمّة وسط، في إقليم وسط، والوسط هو أصل التدوير والدوائر . ها نحن نعيش في بلاد تختلف دوائر حرّها وبردها، وتختلف شتاءاتها بعضها عن بعض، ويطول الصيف في بعضها، ويعضّ الحر مناطق الصحارى، في حين تتناغم الفصول الأربعة كلّما اتجهنا شمالاً .

لكن الشمس لا بد لها في بلاد الشرق المتوسطي من تسديد لهيبها وقسوتها على سكان مدار السرطان وبلاد الشرق والشمس الواقعة بين خطيّن داخل هذا المدار الذي تمر بداياته في محافظة مسقط ويمتد ثم يمتد نحو بلاد الشام .

وبينما تقلّ الأمطار، وتزيد سياط الحرّ، وينهب الجفاف الحقول والأجساد، يحاول البشر إيجاد حلول تساعدهم على التخلّص من الجفاف والحرّ .

* * *

يُقبل الصيف والشمس قد اقتربت من عليائها إذ دخلت الأرض في برجها الصيفي، فتتملّك الحرارة السهول والجبال والوهاد والبحار، وأشجاراً نابتة محروسة متأقلمة بقدرة إلهية .

* * *

نحن والصيف والعِزّ

يا سكان المأوى القديم لشعوب الأرض . يا نحن !! لماذا كنّا نفعلُ حين يلفحنا الحرّ؟ فالصيف حتى في المناطق المعتدلة من بلاد الشام يكون حاراً . وإذ نكون في عزّ الصيف نشكو، وكان أجدادنا يشكون . فللصيف عزٌّ ما بعده عزّ . وما يوم يشبه الآخر، وما مساء يشبه مساء . وكلٌّ متعاقبٌ . والانسحاب من سطوة الحرّ هو المبتغى .

* * *

إن عملية تحريك الهواء . هي الأساسيّة في عملية التبريد . إذ يُستبدل بالهواء الحارّ هواءٌ بارد .

* * *

لقد تعلّم القدماء بالذكاء والخبرة عشرات الطُرُق مستفيدين من المحيط الذي يعيشون فيه .

وعلينا إذاً استرجاع الماضي، وجمع الطرق المتعددة التي كان السكان القدامى للمنطقة، يلجؤون إليها، مدافعين عن بقائهم « بلباسهم » « بطرق سكناهم » « بتوزيع المياه في شبكات جبّارة تفي بإنعاش الإنسان والزرع دون أن تفقد البلاد سحرها الشرقيّ الغامض الجميل ».

وكل هذه الطُرُق كانت تأسيساً للطُرُق الحديثة المتقدّمة التي) أخذت المبدأ (وطوّرت) في التنفيذ والتقنية (مع الاختراعات الحديثة .

الاستفادة من الطبيعة

حاول سكان المنطقة عبر العصور الاستفادة من الطبيعة وظواهرها . وذلك ضمن حدود المناطق الشرق متوسطية المحددة بالجبال والبحار (وهي الحدود الجغرافية القديمة للحضارات) وكانت المُدن تزدهر إلى جانب الأنهار الكبرى، والموانئ الزاهرة والصحارى الغنية .

* * *

الترطيب

يكون الترطيب إمّا ترطيباً معتمداً على الطبيعة، وإما ترطيباً تُستخدم فيه إمكانات الطبيعة . وهو الترطيب الصناعي أو (شبه الصناعي البدائي).

* * *

أساسيات الترطيب الطبيعية

١ - المــاء :

ومن الماء ١ - المطر : وهو من الهين الليّن أو الغزير المدرار .

٢ - الندى : مُرطِبُّ الأزهار بعد طراوة الليل .

٣ - الرذاذ : اللطفُ المتناثر حبيبات بعد ارتطام خفيف .

٤ - الأنهار : أم المدن وأمّ الحضارات .

٥ - الينابيع : المفاجآت التي تتدفق فجاءة لتُـنعِشَ الأرضَ والبشر .

٦ - الشلالات : تجاوزات المرتفعات نحو الوديان لتُغنيها .

٧ - البحيرات : المساعدةُ على تبخّر الماء لتشكّل الرطوبة ..

٨ - الجداول : التي نلاحقها وتلاحقنا مع وهـج الـشمس لتقينا .

٩ - السواقي : ســاقيةُ المـزارع والـسهول المختبئـةُ في كـل مكان، لينبتَ حولها العـشب الـبريّ المـأكول، ولترطبّ الأمكنة ولتبرّد من حرّ المتجوّلين .

١٠ - الثلج : حاضنُ الينابيع والأنهار، ومرطِّبُ الغاباتِ، وحافظ البيئة من التدهور .

١١ - البحر : بتبخّره بمدّهِ بجزرهِ بالسباحة فيه، أو الجلوس قربه، بالإقلاع تحت أشرعة سفنه الجميلة، وبالاستكانة قرب ظلاله .

١٢ - الغمام : رسول الرطوبة الأول ومانع الحرّ .

* * *

روح المـاء :

فوق حصا الساقية سارت الأقدام ابتلّت . ومع تلوّي الساقية انطلقتْ الجباه تلتقطُ الرذاذ .

في المياه الصافية غُسلت الوجوه . ثم ارتحلت . كانت تريدُ أن تبترد .

والعقول عارفة أنّ مدناً قديمة كانت السواقي تتغلغل في بيوتها، ترطّب أمكنة الورود، وتنقل أسرار العاشقين .

فللماءِ روح، وللشجرِ روح، للوردِ روح، وللصيفِ عزّ وحرّ .

✧ ✧ ✧

عظمة الشلالات

حين يحدث هذا التدفّق المائي المذهل، لن توقفه قط كومة من الأحجار، أو غابة كثيفة، أو انحدار صخري مرعب . فللماء قوة لا يمكن حتى لعجلات السدود إيقافها حين تثور، وتتكاثر مفسحة لنفسها طرقاً رائعة سواء كانت جداول أو أنهاراً .

وحين تصل إلى ذاك الانحدار . تتقافز موجات الماء بعنف ناثرة رذاذها عبر الهواء المحيط فوق الأعشاب والأشجار، ناحتة صخور البازلت أو صخور الكلس بلا استئذان، وواضعة ألباب القلوب داخل اللحظات الأبدية من الانتعاش والتحرّر والانطلاق .

✧ ✧ ✧

ولن يهم الشلال طول انحداره، فهو ذاهب متحرّك راقص جميل، يحمل في جعبه مئات الأسماك والأحلام، ليقول لحرّ الصيف توقف، فلا مكان لك بقربي . أنتَ خانق، وأنا بارد مجنون وعاشق، أشبه الحبَّ بشكل من الأشكال .

ولن يوقفني إلّا قوام البحر الأزرق، وإلّا السهول الكبيرة التي تسترزق من مائي بعد تحولي إلى نهر، وإلّا جفاف مطلق يحولّني من ظهوري الأخضر الكريم إلى بئرٍ صامتة منتظرة في مكان مجهول .

*   *   *

النبعة تدعو أسراب البهجة

لا وقوف، ولا نأمة أمام حركة الانبثاق الذي جنده الله لينسفَ الصخر، ولتنبثق النبعة .

الصمتُ مطبق إلّا صوت الماء .. من الماء كل شيءٍ حيّ .

حتى العصافير تسكت عن سقسقاتها حين تقترب بسرعة لتشرب، وتمضي ..

* * *

تتحلق أسراب النحل وتحوم فوق مسافات الرذاذ، ثم تتقدم الصبايا ليملأن جرارَ الصباح . آنئذٍ تتمّ ولائم الحب والضحك والصحة ..

تضحك النبعة .. تضحك الصبايا .. يضحك أصحابُ السيارين .. تضحك البساتين .. تضحك السواقي .. تضحك عطور الأعشاب البرية مطلقةً روائحها التي تجعل القلوب في حالة ذوبان مدهش ..

ويبقى الماء يتدفق، لتهرب موجات الحرّ من المكان الرطب الرائق، والنبعة دائماً سوف تدعو أسراب البهجة إليها ..

النــدى

قطـرة أو قطـرات، تتوضـع قبـل طلـوع الـشمس فـوق ملايـين الأزهار، والأوراق الخضراء سواء كانت نعناعاً أو إكليل جبل أو خبّيزة من الوديان .

✧ ✧ ✧

وما أن تنظر إليها الشمس حتى تختفي، بعـد أن أعطـت لكـل أزهـار المواسم بريق ألوانها، بعد أن جعلت ملامسها المخملية أكثر حناناً، وبعـد أن تُوِّجت في الطبيعة ملكة لجمالها .

✧ ✧ ✧

ومـا منـشؤها إلّا وصـول الرطوبـة عـلى سـطوح الزهـر والعـشب، إلى درجة حرارة تشكل الندى، إذ تنقلـب الرطوبـة بالتكـاثف إلى قطـرات من الندى .

إنه ذاك التلامس الصباحي بين البرودة والحرارة، كـما تلامـست ثـمار الفستق عند تفتحها، وكما تشققت ثمار التفاح العسالي، فـنقّط عـسلها حـال لقاء الصبح بالليل البارد .

✧ ✧ ✧

يتندّى الكون بإذن الله من أجلك أيها الإنسان ..

تتندّى زهرة القرنفل من أجلك كي تعي الجمال ..

تتندّى الخضر التي كبرت في البساتين من أجلك أيها الإنسان ..

تتندّى أوراق الحور كي تفهمَ معنى استمرار العطاء تحت الظل أيها الإنسان ..

✧ ✧ ✧

فلا شيء أقوى من فلسفة قطرة من الندى تعلمنا نحن البشر معنى المحبّة ومعنى أعماق الحياة ..

تحية وطوبى لقطرات الندى ..

✧ ✧ ✧

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾

[الأنبياء: ٣٠]

* * *

الـرذاذ

عند اصطدام الماء بصخر برخـام بحـاجز أخـضر يطـير المـاء فرحـاً، ويتناثر منه الرذاذ . والرذاذ متعة ما بعدها متعة . فهـو يقبّـل الجـسد المحـرور كعصفور يتلقف حبّة ليضعها في فم فرخِهِ . وهنا سوف يتلاقى شعور المحرور الذي يرشّه الرذاذ مع شعور هدهد ينفض ريشه قرب ورقة شجرة .

فـالرذاذ لـن يتعـدى كونـه لمـسة مـن الوجـد تهـدئ مـن هـوى المحرورفيبترد .

✧ ✧ ✧

نباتات الحقول والأشـجار تنـتعش بـالرذاذ . فاكهـة المواسـم تنـتفخ أوداجها أعسالاً حين تبدو عليها قطرات الرذاذ العالقة في الـصباح البـاكر . وحين يرش الإنسان على وجهه رذاذ الماء .

سواء كان ماء زهر أو ماء ورد، أو ماء سوسـن، يـستفيق مـن غيبوبتـه الحزينة متجهاً نحو نقرات موسيقى الفرح ..

✧ ✧ ✧

١ - المناطق الخضراء :

تحمي المناطق الخضراء المؤسسة من الأشجار والغابات والنباتات الطبيعية من حرّ الشمس . والمعروف أن نسبة الارتفاع الحراري تزيد في المناطق والمدن والأرياف التي تقلّ أو تندر فيها المناطق الخضراء والبساتين .

الشجرة :

نحو «الظلّ» ظلّ الأشجار اتجه الإنسان إتقاءً للحرّ، ظلّ شجرة الجوز، ظلّ النخلة، ظلّ زيتونة، ظلّ عريشة عنب، أو شجرة برتقال، أو عملاقة تحمل الصنوبر .

«ملاحظة»:

ذكرت «دوروتي زاك» في كتابها : «دمشق - تطور وبنيان مدينة شرقية إسلامية»: أن المساحة الخضراء كانت تغطّي ٧٠ - ٨٠٪ من مساحة دمشق».

✧ ✧ ✧

إنها الشجرة . مظلّة طبيعية تريح الساكن والمسافر والتائه والباقي

تعتبر الشجرة من عناصر [النبات] المهمة التي تخفف من الحرّ .

ومن الشجرة :

- الأغصان - الأوراق - الثمار - اللحاء - الجذوع .

وسوف نذكر لاحقاً استفادة سكان المنطقة قديماً وحديثاً من نتاج الشجر .

٣ -النباتات والأعشاب والخضر والفاكهة التي تُستعمل للترطيب :

من الخضر : الخيار -الكوسا -البندورة -القثاء .

من الفاكهة : الليمون -البطيخ .

من الأعشاب الشجرية والعشبية :

- الراوند
- الشاي
- نبات الجوت
- القنب
- الكتّان
- القمح -النشاء -القش
- البابونج
- الشعير
- شجر التوت الحاضن لشرانق الحرير
- نبات الخميسة
- الورد :ماء الورد
- الشوفان
- زهر النارَنْج
- التمر هندي .

من ورق الشجر : أوراق التوت والتين والنخل والشوح .

الأعشاب والنباتات

الكتّان Flax-Lin :النبات النحيل ذو الزهرة الزرقاء .

هو نبات حوليّ موطنه يمتدّ من شرقي المتوسط إلى الهند .وهو من المحاصيل الزيتية .وينتمي إلى الفصيلة الكتانيّة .

وقد استخدمته حضارات ما بين النهرين ما بين خمسة آلاف وستة آلاف عام .واستخدمت ألياف الكتّان في الصناعة والحياكة والعزل . فالثياب الكتانية تعتبر من أحسن الثياب التي تمنع الحرارة الصيفية ..

ما بين النهرين :

الكتان في حوض دجلة والفرات

دجلة Tigris

ينبع من جبال طوروس جنوبي شرق الأناضول، ويمر بمسافة ٥ كم قرب مدينة القامشلي ..وبعد التقائه بكثير من روافده يلتقي بنهر الفرات ليشكلا نحو الجنوب أجمل مصب في العالم يُدعى شط العرب .

ويلتقي النهران عند [القرنة]حيث شجرة سِدْرٍ ضخمة ضمن واحات النخيل، يُقال :إنها شجرة آدم عليه السلام .وقد يؤرخ عمرها الحالي بأربعمئة سنة، وإن كانت جذورها -كما يقال -ممتدة إلى فجر التاريخ .

واسم السدر باللاتينية Rhamnus Palaestina

حوض الفرات(*) :

يخترق الفرات جبال طوروس، ويتكـون مـن التقـاء نهـري مرادصـو (ماء المراد) قرب بحيرة (وان) وينبع مـن جبـال آرارات وقـره صـو (المـاء الأسود) شمالي شرق الأناضول . وهـو خـصب خـصوبة قـصوى خـصوبة الحضارات التي ازدهرت في أعاليه وأدناه كما ازدهرت في أعالي بلاد الـشام . فهنـاك يـزرع (القطـن) و (الـسمّاق) و (الكتـان) و (القمـح) و (الـشعير) و (الشوفان) في السهول الممتدة بين (الفـرات) وروافـده المتعـددة وأهمهـا : (الخابور) ٤٦٠ كم و (جغجغ) ١٠٨ كم أو الساجور (و) البليخ (في سـورية ليلتقي من ثم بنهر دجلة، وكلّها أنهار دفاقة خيّرة .

أمّا ماء الفرات فعذب لارتشاح الماء الدائم بين الكثبان الرملية، وأمّـا مياه دجلة الذي يُدعى (النمر) فهي عكرة لانحـدارها الـصخري العميـق، لكنها مياه شريبة .

*   *   *

الكتّـان Flax - Lin - Linum - Linaceae :

نبات ذو قامـة عـشبية وأزهـار بنفـسجية ليلكيـة تَـسحر المـأخوذين بعجائب الجمال .

وحـــين تجـــفّ ســـيقان الكتـــان تُقطـــف حُزَمـــاً لـيـــستعمل الكتـــان في الـــصناعات النـــسيجية ســـواء كانـــت ملابـــس أو ســـتائر . وكانـــت تـــستعمل عـــبر القـــرون **مانعـــات للحـــرارة الـــصيفية وصادّات للرمال** كما يأتي لاحقاً .

(*) يبلغ طول نهر الفرات ٢٣٣٠ كم منها ٦٧٥ كم في سورية (بلاد الشام).

وتعتبر **الثياب الكتّانية** إلى يومنا هذا من أفخر أنواع الألبسة الصيفية المنسوجة التي تقي من الهواء الحار، وتحتفظ برطوبة الجسم .

* * *

١٧٦٠ عام قبل الميلاد

لنعد إذاً إلى ١٧٦٠ عاماً في حقبة ما قبل الميلاد «ولنزر **مملكة ماري** (أو تل الحريري) حيث كانت الملكة شيبتو (بنت ياريم ليم ملك مملكة يمحاض أي حلب اليوم) وشيبتو هي زوجة زمري ليم ملك ماري الشهير .

كانت الملكة ترتدي الملابس الكتّانيّة المنسوجة من النباتات الجافة للكتّان المنسوجة في معامل النسيج في (ماري) وكانت ترسل لبناتها الست الملابس الكتّانية الصيفية المصبوغة بالأحمر والأصفر والأزرق . وكانت المعامل تستعين للصبغ بأزهار **العصفر** و **السمّاق المُحْمَر** و **أزهار الكتّان الزرقاء** و **الأقحوان الأصفر اللبّ** [*] .

* * *

الخيش Burlap الصادّ لحرارة الشمس :

هو قماش خشن مصنوع من ألياف نبات [الجوت] ويُسمى أحياناً قماش الهيسيين . وهو ذو لون أسمر خفيف ضارب إلى الصهبة . قد صدّرته الهند في مطلع القرن التاسع عشر، وأصبح يستعمل لأكياس حفظ الثلج بدل مواد أخرى كانت تستعمل في ذلك .

(*) Archives Epistolaires de Mari I/1 – Histoire de Mari – دومينيك شابان .



الخيش

يستعمل الخيش أيضاً في حفظ المشمّع والسجّاد لتخلّل الهواء ضمن خيوطه المنسوجة المتعامدة المتباعدة قليلاً .

*   *   *

الجوت Jute :

نبات ينمو في المناطق الاستوائية والموسمية ، وهو من فئة الشعريّات ، يتميّز بأليافه التي تمتاز باللمعان ونعومة السطح، وتفقد لمعانها بالتخزين .

ويستفاد من نبات (الجوت) في صنع (الخيش) **الصادّ لحرارة الشمس** كما سلف، وفي صناعة **المنسوجات الخشنة، والحبال** التي تستعمل **في الخيام والبساتين لحمل الأغصان الواقية من الحر في الأكواخ الخشبية والنباتية .**

البردي Papyrus: وهو نوع من الفصيلة السعدية

ينمو في مستنقعات النيل . وكان المصريون يصنعون منه **سلالاً وأسفاطاً** يضعون فيها **الفاكهة والنباتات**، لتحافظ على **رطوبتها** هذا فضلاً عن استخدامه في صناعة الورق .

و (**البردي**) (**نبات يُستظل** به من حرارة الشمس القائظة . وكانت **سيقانه الجافة تستعمل في بناء الأكواخ** لتمنع الحر عن المزارعين العاملين .

والبُردي بعامة ينبت في البلاد المصرية وعلى مسار نهر النيل وفروع الدلتا .

ملاحظة : ينتشر البردي على ضفاف نهر الفرات كما هو في مصر .

* * *

القنب Cannabis sativa (*):

نبات رشيق يصل طوله إلى خمسة أمتار، يُزرع متقارباً في الغياض مشكلاً شبه غابات كثيفة .

ومتى جف القنب تصبح سيقانه كالعصي المجوّفة رقيقة القِطْر، تستعمل في بلاد الشام متشابكة **لتبنى منها الأكشاك**، حتى تسمح هذه التشابكات (**بدخول الهواء المنعش**) في الأرياف . ويمكن **تجنب نور الشمس الباهر** ومنعه من التخلّل في تشابكات القنب بجعلها **متراصة مشكّلةً جداراً نباتياً** يمكن رشه بالماء .

(*) نبات أوراقه ذات تأثيرات مخدرة، من أسمائه (البانجو) في مصر (الزلطة) في تونس، وتستعمل عيدانه المجوفة في بناء وستر الأكواخ .

ويُعرف عن نبات القنب وأغصانه الجافّة المجوّفة أنها كانت تُستعمل في حضارات ما بين النهرين، كماصّات للأشربة الباردة، وبخاصة الجعة المرطبة المصنوعة من الشعير .

* * *

السَّمّار Samm ar - البسباس :

نبات رقيق العود قويّه رغم رقته . له قدرة على تحمّل الصدمات . ومنه تنسج الحصر التي **توضع على الأرض أو التي تكون جدار مَسيل مائي خارجي** - كما يأتي لاحقاً - يساعد على التخلّص من الحر حين انسكاب الماء المستمر على سطحه الخارجي . وهذا نوع من التبريد التبخري لا يمثّل المانع الأصمّ .

ونبات السمّار من الفصيلة الأسلية . وقد يكون هو البسباس . وينبت في المواضع الرطبة . . وأجوده " **السمّار الشرقي** " الذي ينبت جانب المسطّحات المائية وهذا النوع يحصد كل عام بخلاف بقية الأنواع ولا بأس أن ينمو في أراضٍ قليلة الملوحة (*).

والحصير المصنوع من السمّار والمنسوج منه ينسج بواسطة " النول " مع " لوات الخيوط الكتانيّة " (الدوبارة) ويتعامد معها بعد تطريته وتشكيله، ليصبح النبات حصيراً جافاً .

السلال : هذا " السمّار " تصنع منه **السلال** التي تحافظ على الفاكهة الموضوعة فيها . . فتقيها من الحرّ والتفسخّ، كما تساعد الهواء المتخلّل على الاحتفاظ برطوبة الفاكهة .

(*) عن الإنترنت .

الشيح [illegible] الشويلاء الشيبة الدمسيسة القيصوم بعيثران :

نبات عشبي معمّر من الفصيلة النجمية .طول النبتة منه ٤٥ سم .

ما أجمل رائحة عطر أوراق الشيح البرية حين تسلطن على غابات بلاد الشام !ما أجملك يا بن السهوب في العراق !وما أغناك أيّام الحرّ !.

فأنت شهير ومشهور بعطركَ، بفنّ عطركَ، وباتخاذ القدماء أوراقك وأغصانك، **يضعونها على النوافذ كالستائر الخارجية، تكون منسوجة بشكل حُصُر رقيقة عمودية التشابك غير الأصم .**

إن عملية تحريك الهواء هي الأساسية في عملية التبريد حتى يُستبدل بالهواء الحار **هواء بارد .**

وحين كان يعود الحرّ بِكَرَمه اللّامتناهي كان القدامى يجعلون فوق أسطحة بيوتهم مجاريَ لميازيب .وحين يجرون الماء فوق سطح البيت المعطّر ذاك يسيل الماء في الميزاب ويرش الحُصُر التي تصبح مشبعة بالرطوبة والبرودة، وحين يستمر جريان الماء فوق تلك الهياكل النباتية المقامة بين أشعة الشمس وداخل الدار .

تبخّر حرارة الشمس قطرات الماء الموجودة على أغصان الشيح المبتلة . فتنشأ عن ذلك برودة الهواء المحيط بالماء أو الملامس لهذه ألأغصان، فيستشعر الجالسون قرب هذا الحيز ببرودة تيار الهواء المنعش .

فأي منزل قديم ذاك المنزل ! أي فنّ رفيع مشوب بالعشق والعطر اللذين تبثّهما أغصان الشيح .

✧ ✧ ✧

ونكرر : إنّ عملية تحريك الهواء هي الأساسية في عملية التبريد بحيث تتم عملية استبدال الهواء الحار بالهواء البارد .

* * *

الشــوح Abies Fraseri

تصل رياح الشِمال رياح حزينة أو رياح عنيفـة، فتتـصدّى لهـا الجبـال بِغاباتها بأرزها وبأشجار الشوح الرائعة .

اقترب منها أيها الصياد !! هل قادك العطر الفتّاك؟؟

«عطر يفتح الرئتيّن . وما هو مسك ولا عنبر !!».

الأشجار قوية أوراقها كومات كومـات مـن أوراق إبريّـة ، بـل هـي باقات . باقات .

يتساءل الصيّاد القديم . صياد الوعول القصية :

أهــي شــجرة التنــوب Silver Fir – Fir tree ؟ أهــي شــجرة النــار الفضيّة التي تتحرك مع الريح؟ .

يأخذ إذاً بعض جذوعها، وَيجْعلها سقفاً لداره، ويقول :

هي تفتح لي صدري، وتيسّر لي أمري، وتبعد الحرّ عنّي، بأمر الله .

منذ القديم عرف سكان مناطق الغابات هذه الأشجار، بل عرفها كل سكّان المناطق الباردة . وعرفتها أيـضاً بـلاد الـشام وهـي ذات حـرّ صـيفيّ

لافح . ولذا استُخدم غصن الشوح وجذوع الشوح قديماً . والجذوعُ يُعرَف اليوم خشبها بـ « خشب السوّيد الأصفر » خشب قوي ككل أنواع الخشب باختلاف . فقد استروح القدماء **بأغصان الشوح وجعلوها « مراوحَ عطرية »** أيام الحرّ .

ويغزر الشوح في بلاد الشام (في صلنفة) وكل الغابات الشمالية وصولاً إلى غابات الحدود العليا .

* * *

نبات الخميسة

الملاحظ في المدن الشرقية ذات الحارات المتقاربة انتشار نبات مظلل خماسي الورق كثير التعرّش يزهو صيفاً ليشكّل مظلّة تقي من الحرّ اللافح بين الحارات . وهي تحمرّ في الخريف باقية زاهية تُظلِّل العابرين، ثمَّ تتعرّى شتاءً .

وعرائش « الخميسة » تشتهر بخاصة في دروب دمشق القديمة، فكأن صيف المدينة تحت الخميسة نبع وروضة وجمال .

هذا النبات المتسلّق الواصل بين طرفي حارة ساكنة، هذا النبات الخماسي الشكل في أوراقه **يُعتبر مظلّة رائعة صيفية تتربع في أزقة المدن القديمة** . وأكثر هذه المدن معرفة بالخميسة كما أسلفنا مدينة دمشق . وسوف نأتي على ذكرها لاحقاً .

* * *

الحــــور (Populus)

عُرفت أشجار الحور في وديان الأنهار الشرقية وبخاصــة وديــان نهــر بردى في غوطة دمشق الغربية منذ آلاف السنين، وفي ضفاف نهري الفــرات ودجلة ونهر الزاب، وعلى ضفاف العاصي وذلك عند خط عــرض جغــرافي بين (٣٢ ٣٧).

توفّر أشجار **الحور سقوفاً ممتازة للبيوت الشامية**، وذلك بعــد قطعهــا وتجفيفها، وأحسنها لهذا الغرض هو شجر الحور الحموي .

وإن طول الساق الذي تصل استقامته إلى ٣٠ متراً يوفّر مساعداً ممتازاً لسقف البيوت كما يأتي لاحقاً .

وبزراعتها المتراصّة يستفاد منها في توفير مأمن من رياح القرّ أيضاً .

باقتباس عن Я eeħetG ov .sy

* * *

جريد النخل (PALM)

كان السكان القدامى الذين يعيشون قرب الواحــات يجعلــون جريــد النخل مع أغصان الشجر سقوفاً لبيوتهم أو لخيامهم .. كــما هــي حــال أهــل السواحل عندما يتخذون الأكشاك البحرية(*) .

فالجريد يكون سقفاً قابلاً للتنادي مع رطوبة الليل، أو للتجــاوب مــع الماء الذي يُرشُّ عليه، فيلطّف المكان برطوبته .

(*) عن كتاب : المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام - د. جواد علي .

مجلس الطبيب السرياني بختيشوع
الذي طبب الخليفة هارون الرشيد وأفراد أسرته

ورد في كتاب (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) لابن أبي أصيبعة، الجزء الأول ص ١٣٩ (الطبعة الأولى - المطبعة الوهبية ١٢٩٩هـ - ١٨٨٢م).

حدّث أبو محمد بدر الدين بن أبي أصبع الكاتب قال:

حدثني جدّي قال: دخلت إلى بختيشوع(*) في يوم شديد الحر، وهو جالس في مجلس مُخيّش بعدّة طبقات من الخيش. طاقات ريح، بينهما طاق أسود، وفي وسطها قبّة عليها جلال من قصب(**) مَظهَّر بدبيقي قد صُبغ بماء الورد والكافور والصندل، وعليه جبّة يماني سعيديّ مُثقلة، ومطرف قد التحف به فعجبت وقد نالني في القبة برد عظيم، فضحك وأمر لي بجبّة ومطرف، وقال: يا غلام، اكشف جوانب القبّة، فكشف فإذا أبواب مفتوحة من جوانب الإيوان إلى مواضع مكسوّة بالثلج، والغلمان يروّحون بمراوحهم ذلك الثلج فيخرج منه البرد.

(*) والاسم (بخت يشوع) بل عبد المسيح، فبخت معناه عبد.

(**) يصنع الخيش من جدل ومصالبة حبال (الجوت).

تصوّر توضيحي
لآلية التبريد في قبّة بَخْتيشوع

الغالب على التقدير أن يكون البناء مربّع الشكل، تعتليه قبّـة مفتوحـة عليه في منتصف السقف المربع، وأن تكون هذه «المضافة» مبنية من الخشب غير المترَاص أو من القصب المتراص الذي فتحت فيه نوافذ تـسمح للهـواء بالدخول. وتكون النوافذ متعددة حـول البنـاء المربّـع الـشكل. وبـدل أن يدخل الهواء مباشرة إلى المكان، كان يدخل إلى «عدّة طبقـات مـن الخـيش» مَكْسُوٍّ بها المكان من الداخل، بين كل طبقتين «هـواء» يتلاعـب، وبالوقـت نفسه تكون إحدى الطبقتين مدهونة «باللون الأسود».

وتأتي أهمية التبريد القوية من «القبة» العاليـة المـصنوعة مـن القـصب الملويّ بشكل هنـدسي مُـشَكِّلاً هـذه القبـة. وفي القبّـة في أسـفلها بمحـاذاة الـسقف فتحـات تُفـتح وتُغلـق، وتـؤدي إلى صـناديق وُضِـع فيهـا ثلـج مرصوص. ولم يذكر النص عدد الفتحـات حـول القبّـة! والقبـة مكـسوّة بالخيش الذي يغطي القصب.

ولكل واحد من صناديق الثلج ميزاب يسيل منه مـا ذاب مـن الـثلج نحو خارج البناء.

والقبّة مستورة من داخلها بقماش يُدعى كما في النص «الدبيقي».

م (*): وقد ذُكر في لسان العرب المحيط لابن منظور، أن هذا النـوع مـن القماش يصنع في بلدة «دبيق» في مصر وتُدعى اليوم [الدقّي] والـدبّيقي : من دقّ الثياب

ويعود الحفيد ابن أبي أصيبعة ليروي عن جده الذي دخل على طبيـب الرشيد التالي :

يقول إن القماش صُبغ بماء الورد والكافور والصندل . وهذا يعنـي أن هذه العطور والطيوب الثلاثة قد غمس فيها القـماش قبـل إعـداده النهـائي وجفافه .

م : وقد ذُكر في الإنترنـت عـن مدينـة «الـدقّي» أنهـا مدينـة صـناعية مشهورة بصنع عدة أنواع من الأقمشة منهـا : القطنـي والتريكـو والأقمـشة المصنوعة لحشو الملابس .

وهذا ما يدعونا إلى القول : إنه «ربما حُشي القـماش الـدبيقي بحـشو عُطِّرَ بالصندل وماء الورد والكافور .

الآليـة :

يدخل الهواء من النوافذ المتعددة في جدران المكان المربع، فيتجوّل بين طبقات الخيش المنفصلة المدهون بعضها بالأسود ليكون عازلاً، كي يـساعد الهواء على التجوّل داخل كلّ طبقتين . وتنزل البرودة من الثلج المكـدوس في مآخذ القبّة التي تشربت عطور قماشها الداخلي (الدبيقي) بالرطوبـة . ينـزل الهواء البارد طارداً الهواء الحار من الأسفل نحو الأعلى . ويساعد على ذلـك

(*) الميم في النص تعني «ملاحظة».

ترويح الغلمان المراوح لزيادة تحريك الهواء الذي أصبح شديد البرودة معطراً، ممّا يستدعى ارتداء «الجُبَب» الثقيلة للحاضرين .

وللمقارنة والتوضيح، علينا تذكّر قباب الجوامع المقامة في منتصف أماكن الصلاة وفي بعض القبب نوافذ ملوّنة تُدخل الضوء إلى المكان . وهذه النوافذ للتشبيه كانت كمنافذ علب الثلج المكدّس القابعة خلفها منافذ ذات ميازيب يسيل فيها نحو خارج المكان ما ذاب من الثلج الذي يُكبس غيره عند ذوبانه .

بتصرف عن المهندس زهير رشيد

* * *

قصب «الزّل»

والقصب Bambus – Bambou الخيزران

في البلاد المتوسطية لا ينمو قصب «البامبو» فهو في شرقي آسيا يُستعمل في صناعة الأكواخ اتقاءً للحرّ، لكن في بلاد المتوسط نوع آخر اسمه: **قصب الزلّ** وهو موجود بكثرة في سورية: في مناطق حوران وفي ضفاف نهر الفرات، ويستعمل **لأغراض بيئية لأهميته في تنقية المياه .**

ونثار هذا القصب تُصنَع منه بعض الأدوات المنزلية كالمكانس الناعمة ولا يستفاد منه في التبريد أو التخلص من الحرّ .

وعلينا ألّا نخلط بينه وبين **قصب الذرة الجاف وقصب «القنبّ»** اللذين يمكن الاستفادة منهما في سقف أكواخ تقي من الحرّ .

* * *

المشروبات النباتية المبرّدة

الراونـد(*) **– Rheum Officinale – Chinese Rhubarb Rhubarb**

الفصيلة الراوندية :

اشتهر الراوند في بلاد فارس ثم انتقـل إلى العباسـيين وقـد تغنّـى بـه الشعراء، **وهدّأت لطائفُ شرابِهِ حرارة المحرورين** والعشّاق .

فالراوند **يخفض حرارة الجسم** وهو دواء لمعالجة مشاكل الهضم

لكن ما يعنينا من هذه الفوائد المتعددة هو أنّ الراوند يستعمل **كلبخة لمكافحة الحروق، وحروق الشمس**، ويخفِّض حرارة الجوف .

كان يُغلى ويُشرب فما يعود مكبود يـشكو وحـين يُـشرب الراونـد .. يُريح نفس الإنسان، ويُسكّن في جوفه لوعة الحرّ، **لأنه يُساعد على التخلُّص من حرارة الجسم التي تواكب الشعور بالحر .**

ومن أنواع الراوند : «الراوند الراحي » و «الراوند الـصيني » و «الراونـد الإيراني [ريواس] » وبعضه في أوروبا والصيني هو أجود الأنواع .

ويُقال : كأسٌ من الراوند **تُبرّد لواعج القلب .**

* * *

(*) Rheum - Palmatum

تُجنى **جذامير الراوند** بعد النضج، وتكون بطول ٧ - ١ -سم، وتكون مغطّاة **بمسحوق أصفرَ ناعم** هو **مسحوق الراوند** .وبعدَ إزالة المسحوق تُشاهد على سطح الجذامير فتحات صغيرة من ٣ - ٥ مم يملأ هذه الفتحات الحمراء خطوط هي : **الأشعة الدماغية** .وفي الفحص المجهري تظهر هذه الأشعة متعامدة مع اللحاء .

طعم الراوند :حلو في الأول مُرّ بعد ذلك .

ويتميّز مسحوق الراوند برائحة خفيفة مُحيّرة .

ويؤثر الراوند على الكولون، ويؤدي إلى نقص امتصاصه للماء، مع زيادة حركة الأمعاء .

ويصبح مُحمرّاً عند إعداده للشرب (٢).

* * *

الشاي T 99 – T 96:

أول من زرع الشاي وشربه هم الصينيون .والعرب قديماً لم تكن تعرف الشاي .

ومن أنواع الشاي : الأحمر - الأخضر - الأسود - الأبيض - شاي أسام .

---

(٢) عن الإنترنت .

والشاي **مُرَطِّب للجوف** يُشرب ساخناً أيّام الحـرّ . **وكـمادات الـشاي توضع على الجلد لتهدئة حروق الشمس** . والشاي يعتبر **مادّة مرطّبة تُـساعد على خفض درجة حرارة الجسم ليتخلّص من الحر .**

تمتد مزارع الشاي في الصين واليابان، وفي تايلاند وماليزيا . وتـشتهر منطقة كاميرون — هايلاند dnb ay Hnore m بمزارع الشاي الممتدة الرائعة .

ويُقطف الشاي ثم يُجفف، ويُسحق بالآلات، ثم يُفرز إلى شاي وتفل . والتفل يُستعمل سماداً للأرض .

وعادة . تقطف أوراق الشاي كل ثلاثة أشهر . وتقطع شجيرته كل خمس سنوات لتعاود النمو .

وقد عُرف الشاي وانتشر في العالم منذ عام ١٩٠١، وكان يُعرف باسم « شاهي ».

* * *

الشاي الأخضر مع النعناع في المغرب G reen T ea dnbM ni t

يدعونه [أتاي] وهو المقطوف طازجاً . وهو مُحلّو مُحلّو بالسُكّر، مخمّر به . موضوع في إبريق منمّق أنيق معدني .

ها هم ينتظرون . أهل الأتاي ينتظرون، وأمام كلّ واحد كأس زجاجية فيها أوراق من النعناع الأخضر الطازج الذي يُسكب فوقه الشاي من فوهة الإبريق الطويلة، من مسافة شبه عالية . لتثور مع الشاي المسكوب رغوةُ لقاءِ محلول أوراق الشاي الأخضر المُحَلّى بأوراق النعناع التي تنتظر .

إنه «الأتاي» شاي المغرب المشروب في كل قرية وبيت ومقهى ..

* * *

ماء الورد Eau de Rose:

وهو من أرقى المُستخرجات التراثية التي تساعد على (**ترطيب الجوف**) وعلى (**ترطيب حروق الشمس**).

يُستخرج ماء الورد بوساطة تقطير «الورد الشامي Rosa Damascena» والوردة الدمشقية شهيرة بكثافة عطرها الرائع .

وقد عرفت الحضارات القديمة طريقة استخلاص العطر وماء الورد بوساطة التقطير، ومنها حضارة الفراعنة .

د. جوزيف كلّاس
مسيرة الطب في الحضارات القديمة

وكانت (عنخ-سن-أمون) (زوجة توت-عنخ-أمون).. تسكب ماء الورد وغيره على كتفي زوجها ليبترد !!

حكايا صلصالية لنساء ميتات
للمؤلفة

في شهر أيار تتفتح قارورة العطر الشرقية معلنةً انتشار الوردة الدمشقية في الحقول، وهو الموسم الفريد الذي لا يتكرّر إلّا في وقت محدد من فصل الربيع .

* * *

وفي غوطة دمشق كانو يستقطرون الورد ويستخرجون العطر وماء الورد، أمّا بقايا الورود المستقطرة فكانت تفوح في العراء، فلا يكون لرائحتها مثيل حتى تصل إلى المدينة .

ولقد كان ماء الورد يستخرج من الزيوت الأساسية في الزهرة بوساطة التقطير .

البدري : نزهة الأنام في محاسن الشام

وهذه الصناعة معروفة في كثير من أمكنة بلاد الشام منذ مئات السنين، وفي بلاد فارس والبلقان .

* * *

المأمون : ذكر ابن سينا و ابن خلدون أنّه في زمن المأمون فُرضَت على مقاطعة **فارستان** جزية **تقديم ثلاثين ألف زجاجة من ماء الورد** إلى بيت مال المسلمين سنوياً ..

ولشدّة تأثير ماء الورد في **ترطيب الجوف والتخلص من الحروق الشمسية وترطيب الوجه** انتشرت صناعة ماء الورد من بلاد فارس، ومنها نقلها العرب إلى البلقان .

وقد استعان الكحّالون العرب لمداواة العيون المتعبة **والمتحسسة من حرارة الشمس** بماء الورد المرطّب للعين .

وفي كتاب »)عشر مقالات في العين (لحنين بن إسحاق «أنَّ ماءَ الـورد يفيد في جلاء البصر وإبعاد الغشاوة وترطيب الاحمرار .

* * *

الزبـداني : اشتهرت بلدة الزبداني، وهي تبعد ٥٠ كـم عـن دمـشق، بأنها قلعـة الـورد . وكـانوا يـستخرجون مـن ورودهـا)مـاورد (القـاهرة، و)ماورد (مكة المكرمة، وكانت تصدَّر لأهميتها في [ترطيـب الجـوف أثنـاء الحرّ] و [في معالجة حروق الشمس] و [آثار الحرارة على العيون].

* * *

الثمــار المبـرّدة

التوت البـريّ -توت السيّاج Ɑ bade Raqdeттiès

كانت البساتين تسيّج بعرائش التوت البرّي الـصعبة الاخـتراق، ومـا زالت تسيّج به **!!**

يتناوله الشرقيون الأطفال والحوامل والمارّون **!** يلتقطون ثماره التوتية الصغيرة؛ السوداء زاخرة بالحلاوة، والحمراء شديدة الحموضة **..**

إنّه الفاكهة البرية المثلى والمفيدة، الموهوبة بسخاء سبحانيّ رائع **..**

فإذا توقّف المحـرور في الـصيف وتنـاول قبـضة مـن التـوت الـبريّ **انتعش ! وزال الحرّ عنه !**

والسبب **:** أن هذا التوت **الرائع يفيد في إنعاش الدورة الدموية** ومتـى انتعشت الدورة الدموية انتعش المسير، **وتلطف الحرّ على المحـرور**، ليـستردّ قوّته من جديد، ليكمل المسافر رحلته الصيفية، وليرتـد اللّـون إلى الوجـوه المتعبة **..**

ومنه تأكل العصافير والأطفال الذين يمـرّون بـين أسـيجة البـساتين القديمة وبذلك تدبُّ الرطوبة في آكليه من الإنس والطير .

* * *

الليمون الحامض Citrus–Medica L.

Citrus–Aurantifolia Citron

يُشرب عصير الليمون الممزوج بالسُكّر والماء، والمعروك مع قشره للانتعاش «وهو من أحسن الأشربة المقاومة للحر».

ويدعى شراب الليمون «الليمونادة» وهي كلمة تركية أصلها «ليمون - أضه» وهذا الشراب شهير **بتعزيز الطاقة**، وهو **يروّح العطش، ويخفّف الشعور بالحر، ويزيل شدّة التعرق**.

ومن عادة البيوت الشرقية تقديم شراب الليمون مخلوطاً مع الثلج في أيام الصيف الحارّة.

* * *

الخيار Cucumis.Sativus–Cucumber

نبات الخيار الصيفيّ يعتبر بمثابة الفاكهة، والخيار يحتوي على نسبة عالية من الماء، **وهو من النباتات المنعشة، بل الشديدة الإنعاش**.

٩٦٪ ماء وفيه، زيادة على الماء، البوتاسيوم والفيتامين ث المنشّط، وهو ما يُفيد تناوله في فصل الصيف الحار.

أمّا في شهر رمضان حين يحتاج جسم الصائم إلى استمرار وجود السوائل فيه، فتعتبر السوائل المعدنية الموجودة في الخيار من أحسن السوائل؛ لأنها تبقى مدّة أطول في الجسم في فترة الصوم.

ويصحّ القول على الذين **يعملون أو يسيرون في مناخات الحرّ الشديد** .

والخيـار **يخلـص المحـرورين مـن صـداع الحـرّ المتـأتّي مـن التعـرض للشمس**، ويمكن **اعتبار حلقات الخيار الموضـوعة عـلى جبهـة مـن أصـابه الصداع**، أيّ صداع كان، شديدة الفائدة؛ لأن الخيـار **مميّـه مرطّـب مـنعش، ويبعد فوران الصداع عن المحرور ..**

ولقد ذكر أن الخيار **يرطّـب جـوف الفـم أثنـاء أكلـه، ممّـا** يـساعد في التخلص من روائح الفم الكريهة الناتجة عن التخمرات .

وكانت السيدات الشرقيات يلجأن دائماً إلى شرائح الخيار وقـشوره في حالات تهيّج البشرة بعد التعرض للشمس، فيضعن الشرائح على وجوههن فتنقى البشرة، **ويـزول الاحتقـان الحـار** والـسيدات الـشرقيات، وبخاصـة النساء الشاميات، يتناقلن وصـفة الخيـار جـيلاً بعـد جيـل وهـي مـرهم الخيار .

* * *

نباتات خضراء أبدعها الخالق **لتتصدر قائمـة الخـضر والفواكـه التـي تحارب العطش**، ولتساعد على التخلص من الحر . وكلما صَغُر حجـم ثمـرة الخيار زاد نفعها حتى جرَت بذلك الأمثال .

* * *

تصخب أنهار بلاد الرافدين منذ القِدَم لتـذكّرنا **ببابـل** وحـدائق بابـل والناس الذين **كانوا يحتمون من الحرّ بتناول هذه الفاكهة الكريمة المنعشة** .

فالخيار ابن البلاد الحارّة ابن الهند، الذي انتقل إلى روما، وإلى أثينا . وهو بَعدَ الشرق عمّ بلاد الغرب .

*   *   *

القثّاء (*) Armenian-Cucumber:

هي نبات وفاكهة أخرى من الفصيلة القرعية .

والقثاء ابن عم الخيار هي «الفقّوس» وهي «القشْعُر» وهي كما ذكر في جريدة الرياض «الشعرورة» و «الضغابيس» وهي صغار القثّاء و «القُثّ» .

والقثّاء من **الثمار المرطبة المنعشة من الحرّ .**

*   *   *

البندورة (الطماطم)

TOMATUS – TOMATE – POMME D'OR :

لم تكن الحضارات الشرقية تعرف ثمرة «البندورة» ذات الأصل الأمريكي الجنوبي والمكسيكي . وقد دخلت بلاد الشام في أوائل القرن التاسع عشر، فانتشرت تلك «التفاحة الذهبية» لتزيل العطش، وليتخلّص المحرور أثناء التهام استدارتها ومائها ولونها من **حرّ جسمه .**

واسمها البرّي اللاتيني Solanum Solanaceae وهي من الفصيلة الباذنجانية .

عن الإنترنت : Wikipedia

(*) واحدتها قثّاءة

حين اكتشف كريستوفر كولومبس البندورة في القرن الخامس عشر .. خافت أوروبا منها واعتبرتها نباتاً ساماً مدّة ثلاثة قرون، حتى تم الإعلان عن **تنصيب هذه النبتة الرائعة ملكة لتلافي العطش، بل نصّب العلم قشرتها مادّة مهمة واقية من التمدد السرطاني الصامت .**

ها هي بساتين الشرق تزرع البندورة(*)، وها هم رجال الحقول **يقضمون الثمار المنعشة القاتلة للعطش والحر**، وها هو عطر إزهارها، يثور كأجمل العطور البرية في الدنيا، عطر يساعد باستنشاقه على استرداد القوة التي **أضاعها وهن حرّ الصيف اللّاهب .**

* * *

البطيخ (الجبس - الدلاع - الجح)

Citrullus Vulgaris L. Pastèque

يعتبر **ثمر البطيخ في الصيف أحسن مزيل للعطش** لاحتوائه على الماء بنسبة ٨٥ % وعلى السكريّات .

ويُدعى البطيخ في سهول بلاد الشام الوسطى والعُليا [الجَبَس] .

وإنّ كأساً من عصير البطيخ أو عدَّة قطع منه **تقضي على التجفُّف الصيفي** الناتج عن التعرق، بل **تقضي على جفاف الحلق، وتمنع الغثيان الناتج عن نقص الماء في الجسم أثناء شدّة الحرّ .**

وقد اعتبره العباسيون (فاكهة **باردة ومنعشة**) شرط أن يكون مبرداً .

(*) قيل دخلت زراعة البندورة إلى شرقي المتوسط عام ١٨٣٥، وقيل بعد الحرب العالمية الأولى زُرعت في غور الأردن، وديالى في العراق .

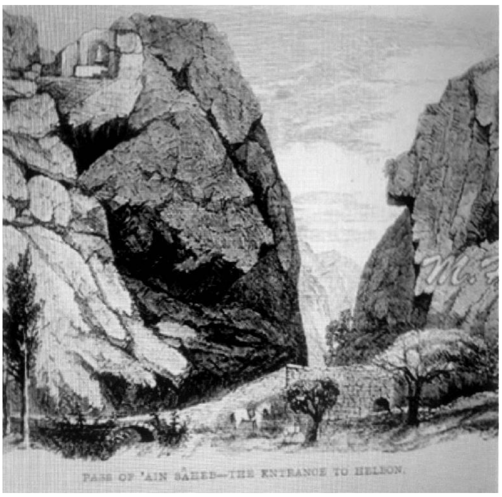
ومن أهمية البطيخ أنه **(يزيل ارتفاع حرارة الدم الناتجة عن فورات الغضب).**

* * *

لقد درج أهل البلاد في الصيف على اصطحاب ثمار البطيخ من (بيارينهم) و(نزهاتهم). وكم شاهدتِ العيون ثمار البطيخ الأحمر والأصفر عائمة تحت رذاذ الشلالات الصغيرة الشديدة البرودة، وقد وضعَ صاحب كلّ بطيخة إشارة أو علامة مميّزة على بطيخته، كي يتعرف عليها بين ثمار البطيخ المبتردة .

ومن أشهر تلك الينابيع القريبة من دمشق (نبع الفيجة) و(نبع عين الخضراء) و(شلالات أبو زاد) و(ينابيع عرنة) (تحت جبل الشيخ) وهي تعدّ بالمئات وتنبع من القسم المشرف على سهول (قطَنا).

ومن أبرد تلك الينابيع (نبع حلبون) (في جبال القلمون) الذي **يُقال إنّهُ إذا ألقيتْ فيه بطيخة انفلقت للتو،** لاختلاف الحرارة والبرودة .



نبع حلبون

النشـاء :

مصدر النشاء هو القمح **.**والقمح نبات **!**

ومنه يُصنّع مرق الأشربة الرجراجة للفاكهة، وذلك بإذابته مع الماء أو عصير الفاكهة التي تُطهى مع السُكّر مشكّلة »الخـشافات «التـي تُـسكب في الأوعية الزجاجية وتُبرّد لتزيّن بعد تماسكها باللوز والفستق **.**

وعادة يوضع النـشاء **لبخـات عـلى حـروق الـشمس** بعـد التعـرض للأشعة القوية، **ويُعتبر من مُهدّئات الجوف المحرور**، كما تُعتـبر »الخـشافات **«** صديقة أمسيات الصيف، طرية هنيّة **مُرَطِّبَة .**

التمر هندي :وسوف يأتي ذكره لاحقاً **.**

* * *

الشــجر

في أوراق شجر التوت الشامي - الفرصاد Morus-Nigra - تعشش فراشة الحرير .

الحرير SILK - SOIE :

يمكن القول : إن الحرير **نـاتج نبـاتي مـن حيـواني حَـشَري**؛ لأنّ **دودة القزّ** تقرض **أوراق التوت**، وتتـشرنق داخـل أشـجار التـوت لتفـرز أرقـى أنواع الخيوط في العالم، وهي خيوط الحرير . وكانت بداية معرفتـه في بـلاد الصين .

لقد انتشرت تربية القزّ في بلاد الشام منذ عهود قديمـة، وانتعـشت في العصر الأمـوي إذ كانـت أنـوال دمـشق تنـسج أفخـم الأنـسجة المعروفـة بـ (الدامـسكو) (Damasco) صـاحب الـشهرة العالميـة . ولا شـك أن (حريـر البِّروكار) الدمشقي كان مشهوراً في جميع الأنحَاء . والمعروف أن عدداً كبيراً من الفراشات الناسجة التي تفرز «الشرانق» يمكـن (حلّهـا)(*) والاسـتفادة منها في صناعة الحرير .

* * *

(*) هنا تتم العملية صناعياً .

يمكن لفراشات الحرير أن تسكن «شجيرات الخروع» و «نبتات الفول».

لكن أشهرها «فراشـة الحريـر، فراشـة أطلـس Attacus Atlas» التـي تضع بيوضها في أشجار التوت، وتتغذى يرقاتها على ورق التـوت الـشامي الأبيض .

طول خيط الحرير

يمتد خيط الحرير عبر الزمان والمكان، ويمدّ من خيوطه طريقاً للوصل للعزّ وللنغم وللرهافة **وللرطوبة** .

وإن خيط الحرير الواحد الذي تنسجه الدودة يصل طوله إلى ١٢٠٠ متراً **!**

هو خيط طويل من خيوط مـشابهة تـشكل ملابـس الثـراء والإمـارة والجمال **والانتعاش** .

[يعتبر الحرير كَلِباس المرطّب الأوّل للحرّ]

فهو ابـن الـشجر الأخـضر، وابـن الفراشـات واليرقـات والـشرانق المغلقة **!!**ابن الفراشات البيضاء الفائقة الوصف، المشربّة بالأصفر الباهت .

الفراشات التي تخفق بالآلاف فـوق أشـجار التـوت تأكـل وتبـيض وتتعذّر وتتشرنق عشرة أيام تعيش لتغزل الحرير خيطاً .

*** * ***

علِّمينا الغَزْل أيتها اليرقة أيتها الدودة .

فمنسجنا ضئيل، ومنسجكِ فيه إعجاز الخالق .

استمرّي بالغزل أربعة أيام كاملات، ثـم اسـكني وتحـولي إلى عـذراء مكبّلة. انسجي الحرير من المواد المخزونة في غددك اللعابيـة التـي تـصب في منطقة (الجلوسا) في شفتك السفلى، وشفة الحرير، وبعدها اتركـي غـدتيك اللعابيتين تتضخمان، وتلتويان داخل جسمك حتـى تبلغـا أربعـة أضـعاف لتخرج خيوط (الغرز) و(قناة الإفراز) معاً فتلتقيا ضمن غمد واحد مؤلف من مادة (السريسين).

المعلومات مأخوذة: عن الإنترنت بحث الحرير
ومن كتاب: من بساتين بلاد الشام للمؤلفة .

وبهذا الإفراز الغدّي تتفكك بنية الشرنقة القلوية، لتباعد الفراشة بين خيوطها، وتخرج، وتبقى شرنقة الحرير .

لكن عملية **استخلاص الحرير** هي قتل العذارى .. الفراشـات ضـمن شرانقها (Doon) كيلا تفسد الشرنقة ويتقطع خيط الحرير ..

خيوط كانت تسافر منذ القدم من شرق آسيا في «طريق الحرير».

* * *

فالبشر يقتلون الفراشات داخل شرانقها .. فراشات تنسج الحرير، ثم تُخنق قربانًا لأجملِ قماشٍ في العالم، وأرقى **الألبـسة التـي ترطّـب الأجـسام، وتُبعد الحرّ .**

أوراق التين والتوت

كان سكان المناطق الشامية وما بين النهرين يلجؤون إلى **وضع أوراق من التين أو التوت تحت أغطية رؤوسهم، في فصل الصيف تخلصاً من الحر الذي تسببه حرارة الشمس المباشرة على رؤوسهم،** أثناء قيامهم بأعمالهم في البساتين والسهول والمصايف .والمعروف أن لهذه الأوراق حماية خاصة **لسماكتها .ولاحتوائها على كمية ماءٍ ورطوبة تحجب الحرّ .**

وغالباً ما كانت الأمهات في الأرياف يضعن فوق رؤوس أطفالهن هذه الأوراق لتستعمل فوقها الأوشحة أو ربطات الرأس وربما القبعات القشّية .

* * *

شراب التوت

من الاستعمالات الشهيرة **للتوت «التوت الشامي» شرابه** المكثّف المُحلّى في بلاد الشام .وهو وصفة معروفة .

فحين يشعر أي واحد **بحرقة** أو **تخرّش من تناول طعام حار،** أو تظهر داخل فمه حماوة الهربس ممّا يُدعى **[قبيلة السخونة].**

يلجأ إلى المضمضة بشراب التوت **الذي يقتل [الآفت الحارق] [ويرطب البدن من حرارة الجوف].**

* * *

النبات في الأرض جافاً ..

القش والتبن

يتكون القش من سنابل الحبوب الجافة بعد نضجها واصفرارها وجفافها بعد العملية التي تدعى «الحشّ» أي القطاف، تفصل السنابل عن ساقها، لتشكّل هذه السيقان «القش» سواء كانت سنابل قمح أو شعير أو شوفان أو غيرها .

وتُصنَع من القشّ بعد نقعه لمدة ربع ساعة في الماء السلالُ والأسفاط وغيرها من المواد المستعملة لحفظ الخضر والبيض والفاكهة ..

ولأن القش مادة تمتص الماء، فإن سلال الفاكهة الطازجة التي توضع فيها تستفيد من نداوة الفاكهة لتُعيدها إليها بفِعل التجفف البطيء وبهذه الطريقة تبقى الفاكهة ندية «تساعد بالتهامها» على التخلص من الحرّ لاحتوائها على الماء والرطوبة، في حين تبقى السلال القشّية متماسكة بسبب فنون ربطها وشبكها بعضها ببعض، فتعود إلى جفافها عند تفريغها، بعد أن تكون قد تشربت من رطوبة الفاكهة محتفظة للفاكهة بتلك الرطوبة المنعكسة .

* * *

التبن : عند جني سنابل القمح أو الشعير أو غير ذلك، تُفصل كما ذكرنا عن القش، ثم تبدأ عملية «الدراس» التراثية القديمة، بفصل الحبوب عن التبن .

وعملية «الدراس» تتم بوساطة لوحٍ خشبي يُدعى «لوح الدراس» وهو ثقيل الوزن يجرّه حيوان قوي بوساطة حبال مربوطة، ويقوده المزارع صاحب الحبوب التي مهدّها في «بيدر» القرية . وكان لكل قرية بيدرها الخاص بها الذي يستعمل بالتناوب .

بعد هرس الحبوب جيداً وانفصال «الحَب» يؤتى بشوكة معدنية معقوفة تُدعى المذراة، باللغة العامية «الدراية» يفصل بها الحبَ عما سواه، ليبقى شبه فتات مغبرّ يُدعى [التبن] .

هذا التبن استفادت منه الحضارات القديمة منذ آلاف السنين وما زال الناس يستفيدون منه إلى يومنا هذا في صنع قطع اللِبْن .

* * *

اللَّبِنُ وطريقة صنعه

يؤتى بقوالب خشبية . **يخلط** فيها **تـراب ومـاء وتـبن** حتـى تتـشكل عجينة متماسكة يمسكها التبن، توضع داخل القالب، وتترك لتجـف تمامـاً، مشكلة **قطع البناء التراثية القروية** التي رصفت بها الجدران والمنافذ وأسـوار البساتين في الأرياف الجميلة .

أمّا قِطَعُ اللَّبِــن فتكـون مُـشَكَّلــة عـلى نـوعين : لَبِنَـة كبـيرة، ولَبِنَـة صغيرة، لتكون عملية البناء أشدّ تماسكاً ..

وتعتبر البيوت اللَّبِنيّة **أحـسن البيـوت مـن ناحيـة العـزل الحـراري ، فتكون رطبة في داخلها رطوبة ظاهرة**، وتحميها السقوف اللبنية المـستندة إلى جذوع أشجار ضخمة يغلب أن تكون من أشجار الحور ..

تعتبرُ أسوار البـساتين المـصنوعة مـن اللَّـبِن المرصـوص (المُلَيّـسة بالطين) **صادات حرارة** و**صادات للرياح** الـصيفية الحـارة وتحفـظ النباتـات والخضر المزروعة من لفحات الحر، كما تحفظ سكّان تلك المنازل .

* * *

النبــات الجـاف

الخشب

استفادت الحضارات من الأشجار لأمور متعددة يهمنـا منهـا في هـذا البحث الأمور المتعلقة بالمساعدة على تبريد الجو والتخلص من الحرّ ..

واستعمال الخشب في مناطق ما بين النهرين وبـلاد الـشام وصـولاً إلى شبه الجزيرة العربية كان متنوّعاً في مسيرة الحضارة فيها .

الخشب لحفظ الثلج

استفادت حضارات ما بين النهـرين وبـلاد الـشام العليـا مـن تكـاثر الثلـوج في فـصل الـشتاء الـذي يكـون شـديد الـبرودة، وحـاول القـدماء الاحتفاظ بهذا الثلج الذي يتحوّل إلى ماء متجمّد إذا حُفظ بظروف مناسبة، وكان أوّل من استعمل **بيوت الـثلج** هـم العمّوريـون والآشـوريون .فلقـد بنيت بيوت أو **غرف من الخشب** المرصوص كانت الثلوج تُحفظ مرصوصـة فيها، حتى تُستعمل هذه الثلوج أو ما يُدعى) البوظ (مع الأشربة المتعـددة . وكانت تقدم في قصور الملوك والكهّان في معابدهم ..

وبقيت هذه الطريقة سارية حتى عُرفَ) الخيش (فصارت الثلوج تُنقل نقلاً داخل أكياس الخيش، من الجبال القريبة من المدن والعواصم لتُباع .

● **الخشب في البناء اتقاءً من الحرّ**

درجت حضارات بلاد الشام، وبخاصةٍ المناطق التي تكثر فيها الأنهار، على استعمال الجذوع **الخشبية لشجر الحور لسقوف المنازل.** وغالباً ما تُشاهد إلى اليوم هذه الجذوع الشجرية القوية في سطوح المنازل الدمشقية القديمة، وفي سطوح المنازل الريفية التي لا تعتمد على مبدأ القرميد في بلاد الشام ..

● **الخشب دعائم في بناء (العرزال)**

كانت تُستعمل جذوع وأخشاب الأشجار النحيلة القوية دعائم لإقامة (العرزال) في البساتين، فيُقام على أربع دعائم خشبية عالية، ثم يُبنى بأربع من الدعائم التي تكون جدرانها من **الجذوع الغصنية** المليئة **بالأوراق** التي **تتخللها الريح وتمنع الشمس، وبذلك يكون العرزال عازلاً .**

● **الخشب لبناء المُشرّبيات**

تشتهر بيوت بلاد الشام وبيوت الجزيرة العربية بوجود المُشرّبيات الخشبية التي تمثل نوافذ مستوية أو مائلة من الخشب المتشابك ..الذي يمنع الحر الكامل وأشعة الشمس الصيفية من الدخول إلى الغرف ..



المشربية في اليمن

تُعتبر المُشّربيات الظاهرةُ مثالاً رائعاً للتهوية مع الاحتفاظ بخصوصية المنازل ـ وسوف نأتي على ذكرها لاحقاً .

- **استعمال الخشب في السدود المائية للأقنية الصغيرة**

استعملت الألواح الخشبية في فتح أو سَدّ القنوات المائية المتعددة التي بناها الإنسان للسقاية، **وللاستفادة من الماء بأكبر كمية ممكنة** ـ وسوف نأتي على بعض ذكرها لاحقاً في الحديث عن الاستزادة من الكثافة الزراعية والشجرية للمعيشة، وللاستفادة من **ظلال الشجر منعاً للحرّ** .

- **استعمال الخشب في بناء الأكشاك البحرية** الشديدة التهوية .
- **استعمال الخشب في بناء الأكشاك والمنازل القريبة من الشواطئ أو لاستراحات الصيادين**، وسيأتي ذكرها لاحقاً .

* * *

ظاهرة الانتقال الحراري السريع

ظاهرة الانتقال الحراري السريع

تفّاح «مسال الورد» في «القلمون»

تقع قرية «مسال الورد» قريباً من دمشق في مفترق طريق فرعية بين جبلين. وهي قريبة من «**صيدنايا**» و«**معلولا**» ذات الفجّ المشقوق بين جبلين والزاخر بالرطوبة.

وضمن خاصرة من خواصر جبال القلمون، وفي أعلى قمّة من القمم التابعة لـ«مسال الورد» بساتين يُزرَع فيها نوع من التفاح قلّ مثيله. والمعروف أن التفاح الذي ينمو في المناطق الرطبة المرتفعة يربو ويزدهر بخاصة إذا تعرض للشمس. كما هو الحال في التفّاح العسالي الكبير الأحمر.

وفي فصل الصيف، تختلف درجة الحرارة بين النهار والليل اختلافاً ملحوظاً. فارتفاع القلمون يجعل من هذه البساتين مناطق مشمسة نهاراً وشديدة البرودة ليلاً، ممّا يؤدي إلى حالات نادرة من [تشقّق التفّاح] الذي تسمع أصوات تشققه وتمزّقه ليلاً بين الحين والحين.

ويلجأ المزارعون إلى التقاط القطرات المتبلّجة الباردة، الناتجة عن **تشقق التفاحة المُخْتَزِنَةِ للحر** التي **تمزقت من شدّة البرد في الفجر** قبل أن تستقبل الشمس..

وظاهرة تشقق التفاح لا تحـدث إلّا عنـد نـضوج التفـاح العـسالي في المناطق الشديدة البرودة ليلاً الشديدة الحرارة نهاراً **فالعوامل الطبيعية** هنـا هي التي **تقوم بوظيفة التبريد** لتعلّم الإنسان كيـف يحـتفظ بفاكهتـه إلى غـير أوانها محافظة على قوامها وطعمها .

لا بد إذاً لحصول ظاهرة التشقق من انتقال سريع وشديد ومفـاجئ في درجات الحرارة الجويّة .

* * *

عن بساتين الفستق

عُرفت زراعة الفستق(*) منذ عهد الآشوريين، بل في ممالـك يمحـاض أيام الملك ياريم ليم ١٧٦٠ ق م .

* * *

● ويلاحظ في الفستق تفتح الأزهار المذكرة قبل المؤنثة بفعل الحرارة .

تتحمّل أشجار الفستق الحرارة حتى درجـة ٥٠ - ٥٥ درجـة مئويـة . ويجب أن تكون **الحرارة** مترافقة مع درجة **رطوبة** كافية في الجو كـيلا تـسبب الحرارة الشديدة في حـرق الـثمار والأوراق - و يحتـاج الفـستق إلى درجـات حرارة متدنية في فترة السكون، لكـن أشـجاره لا تتحمّـل طـويلاً الرطوبـة والضباب ..

ويحتاج الفستق إلى درجات حرارة مرتفعة في فترة النضج في شهر تمّوز - يوليو، كما يحتاج إلى ٧٠٠ ساعة برد في مرحلة الـسكون - ويفيـده هطـول الأمطار في آذار - مارس، فله أثـر هـام في نـضج الفـستق، **ومنعـاً [لـضربة الشمس] تُطلى الساق بالكلس المطفأ [** - وبهذه الطريقـة يحـصل المزارعـون **على طريقة تبريد وحماية ممتازة للفستق**(١) .

---

(١) بحث عن الفستق، عن وزارة الزراعة في سورية .

وبالرغم من كل ذلك تتحمّل أشجار الفستق الثلج والصقيع .ور بما وُجدت بعض الثمرات فارغة نتيجة توالد بكري للبويضة غير الملطّخة أو تلقيح غير طبيعي لها .وسبب ذلك]عدم كفاية ساعات البرودة الشتوية [.

* * *

وتخضع أشجارُ الفستق وثمارها بذلك في ضوء ما ذكرنا إلى النقلة الحرارية المفاجئة بين الحر والبرد كي تتفتح ثمار الفستق كما يحدث لتفاح عسال الورد .

ولكن بشكل معاكس .فالتفاح يتشقق بعد البرودة الشديدة والانتقال السريع للحر .

والفستق يتشقق بعد الانتقال من الحرارة الشديدة نحو البرودة .

يقولون :تتشقق ثمار الفستق تحت ضوء القمر

* * *

الينابيع

جوهرة الينابيع

بلاد الشام جوهرة الينابيع، العروس العائمة فوق مدٍّ واسعٍ من الماء، المغطاة بأسرار الينابيع والآبار، المتداولة أحاديث الجداول المتعرجة ..

بلاد الشام التي تنبت القمح في جنوبها وفي شمالها، المتشققة الأرض من حرارة الصيف الخانقة، المسعورة الرمال، التي تكفي ولا تكتفي ..

ليس علينا الآن ..أن نتفاوض مع أنهارها الكبرى وأنهارها الصغرى ولا مع أقنية البساتين التي يتقاسمها المزارعون .

وليس علينا أن نتذكّر ..نحن أهل البلاد، كيف كانت حضاراتنا المائية العملاقة، وليس بإمكاننا إلقاء اقتراحاتنا جزافاً في زمن تتكاثر فيه حروب الماء .لكننا وببساطة سوف نعدّد ما عرفناه وما قرأنا عنه من الينابيع، فالتوثيق الرقمي قادر بحواسيبه واستقصائه أن يذكر لنا أكثر وأكثر عن ينابيع بلاد الشام .وهي اسم لفلسطين وسورية ولبنان وقسم من العراق والأردن صاحب بحيرة لوط المالحة التي يموت السمك فيها ويطفو البشر .بحيرة لوط التي تتقاسم شواطئها فلسطين والأردن .

أهم الينابيع في سورية ولبنان

تتدفق الينابيع الباردة شاقّة الجبال في بلاد الشام وسنذكر بعض أشهر الينابيع :

نبع الفيجة تشرب منه دمشق **ينابيع سرغايا**

نبع بردى **نبع بقين**

نبع عين الخضرا **نبع حلبون**، يقع في القلمون

ينابيع بلودان وشلالات أبو زاد « عين منين، تقع في القلمون .

عين العمياء ينبع منها نهر الفيض وسوا في دير العصافير

***ينابيع المنطقة الوسطى :**

نبع الفوار **عجلون : أم الينابيع**

ينابيع الدريكيش **ينابيع وادي النضارة**

وادي العيون **عيون الوادي**

ينابيع الكفارين السبعة **عين الباردة**

ينابيع قرية حب نمرة : في وادي النضارة .

نبع المقعبرة : يقع في وادي النضارة، وتتفجر منه عدة ينابيع .

ينابيع الزويتية : تقع في المناطق الوسطى لبلاد الشام .

ينابيع القلاطية : والقلاطية قرية تقع قريباً من) جبل السايح (على ارتفاع ٦٠٠ م من سطح البحر . وتقع هذه الينابيع في الجهة الشمالية من » وادي النضارة « وتقع في محافظة حمص .

نبع بانياس : ينبع منه نهر بانياس .

نبع بحيرة السِن : يسير منه نهر السن ستة كم ليلتقي مع) حمرة البحرة (ليصبح عرضة للتلوث ونبع نهر السن منه تشرب اللاذقية من نهر السن والنبع قريب من) بانياس (.

-**شلالات الشيخ بدر** :تشتهر بتدفقها وبرودتها (محافظة طرطوس).

-نبع رأس العين :(مشريكيش).

-البيضا :ومنها شلالات البيضا (مصياف).

-عين موسى .

-عين الزاوي (مصياف) وهي مجموعة ينابيع .

-عين حلاقيم (مصياف) تسمى باسم مدينة عين حلاقيم .

***ينابيع بيت ياشوط (ومنها :**

نبع عين الفوار :يقع على السفوح الوسطى .

***ينابيع الحفة ومنها :**

عيون الريحان -ينابيع عين التينة -عيون الغار -عين سالم -نبع عين حربا -عين بسما -عين الحفة .

***ينابيع مرستى ومنها :**

-نبع الياقوتي -عين الغابة -نبع جعيتا السوري

-عين التحتا -عين عبد الله -عين الجديدة

-عين الحلال -عين العريض -نبع الديدبى

-**نبع السليمى** :سمي باسم المنطقة .

-**ينابيع دورين** :تقع في منطقة غابات واسعة ومنها :

-عين الصوفي -نبع حريرين -نبع العين الشرقية -نبع العين الغربية

-**ينابيع قالويه ودير كيفا**: وتقع شرقي حورين وفيها :

بئر السلاسل   نبع القلواني .

-**عين الحمرا**: تنبع من منطقة في عين الحمرا .

-**نبع الطيب**: قرب صقيلبية محافظة حماه الغاب .

-**نبعة البريج** : نبع من البريج محافظة حمص وهي ذات مياه متدفقة .

*ينابيع المنطقة الجنوبية في سورية :

-**ينابيع عرفة**: تصب ينابيع عرفة في نهر الأعوج الذي يغذيه ٣٠٠ نبعاً وتقع عند سفوح جبل الشيخ الجنوبية محافظة ريف دمشق وفيها ٣٦٠ عيناً بعدد أيام السنة ومنها :

عين الرشيح	**عين عيسى**
عين المالحة	**عين نجيم**
عين الرشاشيح	**عين المنزلة**
عين العرب	**عين الشواغير**

ينابيع الكَفْر: تقع في محافظة السويداء، وهي خمسة :

عين السخنة   عين موسى   عين العليقة   عين الرصفة   عين الخريم .

-**شلالات تل شهاب**: تقع في حوران وتتكون من لقاء نبع الفوار ومنابع بحيرة زيزون والمزيريب .

-**نبع السخنة**: وينبع من بحيرة السخنة ويدعى أيضاً نبع الفوار .

-**عين العليقة**: تقع في محافظة السويداء .

-**دربل -عين الصافي**: تشاعد منها كل الينابيع والعيون المتفجرة من جبل الشيخ .

***ينابيع الجولان :**

-**نبع وشلالات بيت جن** :التي تطل على بحيرة طبريا في الجليل الأعلى وتلتقي بالخزرجية وتلتقي في) السيبراني (نهر الأعوج .

نبع الوزاني – نبع الصيادة – نبع صعار
نبع البرجيات – نبع جليبية
نبع الكبيرة – نبع النخيلة
نبع الحمة – وهو نبع معدني
نبع البالوع – نبع الريح

***الينابيع الشمالية :**

-**شلالات كمرك** :في عفرين
-**شلالات ميدانكي** :تقع في منطقة) عفرين (قرب قرية) فرجنه (وتبعد عن حلب ٦٥ كم .

***العيون الرافدة لنهر) الخابور (محافظة الحسكة :**

-**نبع رأس العين** :رأس العين مدينة يدخل منها الخابور إلى سورية) والنبع أكبر العيون الرافدة للخابور (ويسمى نبع) زوزانا (وهو آشوري الاسم .

وقد ذكره الإدريسي قال : رأس العين مدينة كبيرة فيها ٣٠٠ عين عليها شباك حديد تحفظ ما يسقط منها ..

***العيون الرافدة للخابور كما ذكرها ياقوت الحموي :**

عين الرأس – عين الهاشمية

-عين صرار　　　　-عين الرأس

وقد تغيرت الأسماء اليوم فمنها

-عين الزرقا　　　　-عين البانوس

-عين الحصان　　　　-عين سالويا

-**ينابيع الكفارين ومشتى الحلو :وتقع في وادي النضارة ومنها**

-نبع البراديس　　　　-نبع رأس النبع

-نبع عين العروس　　-نبع الجسر　　-نبع السير

-**ينابيع جباع :عدد ينابيعها أكثر من أيام السنة، ومنها :**

-نبع حويلي	**-عين التينة**	**-نبع المرجة**
-عين اركيز	**-نبع القبة**	**-نبع عيون الوادي**
-نبع البسيس	**-نبع عكيتا**	**-نبع الجلافة**

بعض الينابيع في لبنان :

يعتبر سهل (البقاع) من أكثر الشرايين التي تغذي سورية ولبنان، ومن أهم ينابيعه :

-**نبع الهرمل** :وهو نبع نهر العاصي في (البقاع)

-**ينابيع العليق (غربي بعلبك)** :ينبع منها نهر الليطاني وله ستة روافد .

-**عين مشفرة** :ترفد نهر الليطاني (البقاعي)

-**عين أبو زيد** :ترفد نهر الليطاني وهي في (سعد نايل) البقاع .

-**نبع سهل رياق (يعضوفا)** :ومنه نهر يحفوفا (البقاع).

-عين زحلتا　　← في زحلة (البقاع)

-ينابيع زحلة　　← في زحلة (البقاع)

-ينابيع عين زغرتا ← في البقاع

-نبع الصفا　　← أول منطقة الشوف

- نبع الباروك ← في الشوف (المختارة)
- نبع حمانا ← في المنخفضات تحت (صوفر)
- عيون فالوغا ← في المنخفضات تحت (صوفر)
- شلالات تنورين ← في (البترون) شمالي لبنان
- شلالات جزين
- ينابيع عين ماحص ← تروي البساتين صيفاً وشتاءً وتنبع من (عين ماحص)
- نبع السلعة ← في جلجايا

- ينابيع حنجور ومنها :

- نبع الطيب - نبع الشلاهمة - ساقية نجم الشحطة
- نبع سريد ← في (كفر شوبا) (في حاصبيا)
- عين الذهب ← قربها استراحة عين الذهب

- ينابيع حب نمرة ومنها : نبع مريم - نبع عين قبي

- ينابيع عكار العتيقة ← من أكثر مناطق لبنان غنى بالمياه وهي المصدر الأول لنهر (اسطون)
- نبع ترمسحيا ← ينبع من (ترمسحيا)
- **قناة باكيش** ← تقع في أسفل وادي الجماجم، تمر وسط مدينة (بسكتنا) وتفصلها عن بيروت وتقع في (صنين) شمالي لبنان ومنها :
- **ينابيع اهدن** : شمالي لبنان، ومنها :

نبع القصب : ينبع من (سكاكا) وقرى (بلفيت)

نبع بير أبو درج : تنبع في (طلال)

* * *

الثلــج

عرفت حضارات ما بين النهرين وبلاد الشام العليا الـثلج بطبيعـة المنطقة الجغرافية وعرفت كيف تستبقيه طوال العام .

ففي **حضارة ماري أو معري** وفي **حضارة كارانا** ١٧٥٠ ق م وهي بـين «الموصـل» و«الخـابور» وفي كـل **حـضارات الخـابور**، كـان الـثلج المجمّد معروفاً. وكان يُنقل من بلد إلى بلد، ليحفظ في مخازن خاصة بـه، وليستعمل لتبريد الأشربة والماء في فـصل الـصيف الحـار، الـذي يكـون شديد الحرارة للقرب من الصحراء؛ فيلجأ أهل تلـك المنـاطق إلى تبريـد بيوتهم وتبريد أشربتهم .

- وقد بنى ملوك (ماري) و(إيماح) **(بيـوت الـثلج)** إذ كـان يُحفـظَ فيهـا الثلج بتجميعه خلال الشتاء ليستعمل في الصيف .
- ففي حضارة مدينة (ترقا) اكتشفت البعثات الأثريـة «بيتـاً للـثلج». وكان الملك «زمري ليم» ملـك «مـاري» قـد بنـى «بيتـاً للـثلج» [لم يسبقه إليه أحد في ضفاف الفرات]. وأرسل حاكم (ترقا) رسالة إلى «زمري ليم» يطلب منه «إرسال رجال يشرفون على تـسلّم وتجميـع وترتيب الثلج في ترقا».

والواضح من نصوص الرُقُم الفخارية أن حفظ الثلج أي «البوظ» لم يكن معروفاً صيفاً قبل أيام «زمري ليم ملك ماري».

* * *

- وكتب «أبلا هندا» ملك «كركميش» إلى **ياشيم - حدّو** بعد خلو كرسي الملك الآشوري : [الآن .. يوجد ثلج في زيرانوم [بكثرة .
- .. وكانوا يشربون النبيذ مع الثلج .

* * *

- وكتب الملك **شمشي حدد** إلى ابنه :

«أمّا في تجميع الثلج، فهل من الجيّد تحميل الحمّالين الثلجَ من بُعد ٢٠ - ٤٠ مسافة ».

وقال : «اطلب من خدمك جميع الثلج [اجعلهم ينقّونه من أغصان الشجر والوسخ [».

وكان الملوك يطلبون من عمّالهم التوجّه إلى الغابات لاقتطاع الأخشاب اللازمة لبناء «بيوت الثلج» التي سلف ذكرها .

وهذا يدل على استعمال الخشب لحفظ برودة الثلج وقوامه الذي يتحول إلى التجمّد فيما نسميه «البوظ».

- ونعود إلى ذكر مملكة **كارانا** ففي منطقة (تاتّارا) كان من المؤكد وجود مخزن للثلج، لأن شخصاً يدعى : «أكباد - حامو» كتب إلى الملكة (إيلتاني) قائلاً :

]عيهم يفكّون ختم ثلج (كاتارا (..إن الآلهة وأنتِ وشقيقتك بيلا حمومو «تشربون بشكل منتظم [.

* * *

- وتذكر المعلومات الرافدية]إن الثلج المجمّد كان معروفاً على الأقل منذ أيّام حمورابي [.

المصدر :ماري وكارانا، مدينتان قديمتان
ستيفاني واللي

* * *

معلومات :تقع **كارانا** في جبل سنجار غربيّ الموصل قريباً من نهر الخابور .

تقع **ترقا :**في الفرات الأوسط .

تقع **ماري :**قريباً من الفرات على بعد ٦ كم وهي قريبة من الحدود قرب مدينة البوكمال .

كركميش :هي مدينة **جرابلس** اليوم، وربما كانت على الطرف الآخر من الفرات .

* * *

البــوظ

يدعى الـثلج المجمّـد في بـلاد الـشام «البـوظ» وقـد كـان يجمـع في مستودعات خاصة به مهيأة لهذا الغرض، لكنّها كانت بدائية الصنع . وكـان جبل الشيخ أو جبل الثلج القريب من مدينة دمـشق هـو مـصدر توريـد إلى العاصمة لعلوّه، ولتراكم الثلج طوال العام فوق قمّته .

وكان لجمع الثلج صورتين في رصّه ضمن الكهـوف الـصخرية أثنـاء الشتاء، ووضعه في خزانات كبيرة .

العـزل

كان العزل في (بناء من القشّ والتبن) شديد الثخانـة، توضـع داخلـه قطع من الخيش السميك الذي يُدعى «الجنفيص» ثم يُجمع الثلج ويكـبس بشدّة حتى يمتلئ المستودع . ثم يغطّى بالخيش، وهكذا يبقى طوال الموسـم الصيفي فلا يذوب .

وحين كانوا يريدون إحضار أجـزاء الـثلج المجمّـد إلى المـدن، كـانوا ينقلون الثلج المجمّد المعبأ بأكياس الخـيش بوسـاطة «البغـال» أو «الطنـابر الخشبية» التي تجرّها الحيوانات .

النقل المائي

كان الثلج في شمالي بلاد الشام والرافدين يُجمَّع ويُحفظ بالطريقة الخشبية نفسها، في الجبال القريبة العالية المحيطة، وكان يُنقَل إلى الأقاليم والمدن بوساطة **الأنهار الكبرى فوق فلوّكات عائمة مسطحة من الخشب** أو من **الجلد** .

* * *

العزل بواسطة الصناديق المعدنية

كان العزل يتم فيما بعد بوضع الثلج المجمد في الصناديق المصنوعة من معدن «التنك» وذلك في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين .

ثلج السلطان

قال «البدري» في كتابه «**نزهة الأنام في محاسن الشام**»:

يُقيم الثلج في بعض الجبال في بلاد الشام من العام إلى العام ، وإن [ثلج السلطان] كان يُنقل من دمشق إلى القاهرة «مدّة العام» .

وقال : كانوا يخزنونه في دمشق، وهو يُحضر من جبل الثلج في حواصل معدّة له .

ويقول البدري : الثلج رديء للمسنّين .

ويقول : المياه الثلجية والجليدة في آجام، كانت رديئة ثقيلة، تولّد البلغم في الشتاء، والمرارة في الصيف .

ويقول : ويعسّر على النساء الحمل والولادة . ويلدن أطفالاً متورّمين .

ويقول: ينبت الريباس في الثلج، وينبت «البرباريس» كما يقول ابن البيطار، وهو أمير باريس حالياً ».

ويقال له بالفارسية [زرشك].

* * *

في المدن

حين كانت قطع الثلج المجمد والموضوع ضمن الأكياس الخيشية تصل ويُنادى عليها، وهي ملفوفة تخترق حارات المدن فوق الطنابر التي تجرها الحيوانات، كان أطفال الأحياء يتراكضون تحت حرارة الشمس، متتبعين خط الماء الذائب من «قوالب البوظ» التي بدأت تتأثر وتتصاغر بفعل الحرارة، فيسارع الناس إلى شراء ما يبتغون من **ألواح البوظ** ليعاودوا لفها، ثم إنزالها إلى أقبية المنازل الباردة.

وكلما رغبت سيدات المنازل تبريد الأشربة اقتطعن من قالب الثلج المجمّد قطعة ليضعنها في الأباريق الزجاجية التي تشبه أعناقها أعناق طيور «النحام» المهاجرة التي عادت مع الصيف إلى أطراف البحيرات المنتشرة في جولان بلاد الشام وفي سائر المناطق الرطبة، بل لعل أعناق تلك الأباريق الرقيقة كانت تشبه خصور الصبايا.

* * *

صناعة الثلج المجمّد من الماء

في الهضاب الشمالية لبلاد الشام، وفي أعالي بلاد الرافدين، وفي الهضاب المتلاحقة حتى حدود ما وراء النهر (هو نهر سيحون) تنخفض

درجات الحرارة ليلاً في أوائل الصيف وفي أواخره، وتبقى منخفضة بطبيعة الأمر طيلة ليالي الشتاء . وكان سكان المناطق تلك قديماً، يُعدّون مصاطب كبيرة بلا سقوف، تُعبأ أول الليل بالماء بعمق بسيط (٥ سم) ، وأثناء الليل تتدنى الحرارة ليصبح الماء القراح متجمداً في الصباح الباكر . وقد لا يكفي للتجمّد أن تكون درجة الهواء (٢°) لكن ممّا يساعد على التجمد أن تكون السماء مكشوفة تماماً ليلاً، ممّا يحدث إشعاعاً حرارياً في الأيام الصحوة، فتبثّ الأحجار والمعادن حرارتها نحو الأعلى وتبرد، وهكذا ببرودة الواقع الذي بنيت منه المصطبة يتجمّد الماء ويُصبح ثلجاً .

الدكتور زياد الجندي
فيزياء نووية

* * *

سنة الثلـج

ذكر «الأسدي» في «موسوعة حلب» :

أنّه جاءت على بلاد الشام سنة دُعيت «سنة الثلج» وظل الثلج يهطل فيها عشرة أيّام متواصلة .

وقال : كانوا يجمعون الثلج شتاءً، **ويجعلونه أكواماً كبيرة يُلقى عليها التبن ثم التراب** بعد أن يرصّوه بمضارب ، ويتركوه للصيف . وكانت ثلوج حلب لا تكفي فكان يُجلب من «برعش» على ظهور الجمال إلى **حلب وبيروت** .

وقد روى أحد التجّار للأسدي الحادثة التالية :

قبل دخول البرّادات إلى حلب دعاه تفكيره إلى شحن «أمخاخ الخراف» التي تدعى في حلب «طواظ» ومفردها «طوظ» إلى بيروت، فنجّر التاجر علباً وصفّحها بالتوتياء [وكان يجعل في كل علبة نصف لوح من «البوظ»] ثم اتفق مع بائعي «القشّه» كل صباح كي يكسروا رؤوس الذبائح، فيأخذ أمخاخها ويعبئها في الصفائح فوق الثلج، ثم يسافر كل يوم إلى بيروت، فيبيعها ثم يعود إلى حلب، ليكرّر العملية كلّ يوم .

* * *

الأشربة المبرّدة بالثلج

]الدندرمة [أو قيمع العرب (

من تقاليد الأسواق في دمشق أن يأكل المتسوقون «الدندرمة» حين يرتادون الأسواق فهي لا تصنع في البيوت، ونادراً ما كان أحد الذواقين يصنعها في بيته .

وما زالت]البوظة العربية [←]قيمع العرب [**تُعَدُّ من مفاخر الصناعات المُبَرِّدة** .وهي ما تزال إلى يومنا هذا ملكة المرطبات بخاصة في مدينة دمشق .

طريقة الصنع :

يؤتى بالثلج ويوضع فيه الملح كي تهبط حرارته بواسطة الملح إلى] ٥° [تحت الصفر، لأنّ الحليب، بما فيه من أملاح وسكاكر، لا يتجمد بدرجة الصفر، فيحتاج إلى درجة أدنى عند صناعة قيمع العرب .وهذه الدرجة يوفرها له الملح الممزوج مع الثلج .

يوضع الثلج والملح في برميل، ويؤتى بحليب مغلي فيه قليل من النشاء يشبه المهلبية الرقيقة القوام، ثم يوضع هذا الحليب في برميل مستقل

أسطواني من الفولاذ ذي قطر أصغر من قطر البرميل ويوضع برميل الحليب داخل برميل الثلج والملح، ثم يدوّر الحليب باستمرار مع آنيته، كي يلامس أكبر سطح من الوعاء المثلّج البارد، فتتجمّد الطبقات الحليبية الملامسة لسطح البرميل الداخلي تُكشط هذه الطبقات المتجمّدة، وتُجمع في برميل آخر مُجَمّد ثم يُعاد تدوير البرميل الذي يحتوي على الحليب حتى يتجمّد الحليب كلّه .

ثم تبدأ عملية دقّ الدندرمة لأن تجمّد الحليب يحدث في بلورات كبيرة تصبح أثناء الدق بلورات ناعمة حتى تمطّط بعضها مع بعض في النهاية، ليكون «قيمع العرب» أو «الدندرمة» قد جهز .

* * *

إن تسمية «الدندرمة» ليست عربية لكنّ نسبة «القيمع» أي «القيمق» الذي هو القشدة إلى العربان يدل أنها صناعة عربية منسوية إلى العرب قيمق عرب لكنها اشتهرت في الفترة العثمانية على الأغلب فأطلق عليها اسم «دندرمة».

* * *

الأشربة الباردة

إضافة إلى عصير الليمون البارد، اشتهرت بلاد الشام بالأشربة منذ العهد الأموي والعصر العباسي .

- ومنها : شراب **الفاكهة** المعصورة والمخلوطة بهريس الثلج .
- شراب الفاكهة المعصورة المغلية مع **القرفة**، مع **البندق والمكسرات** التي تزيّن بها كؤوس الشراب بعد وضع الثلج .

ومن الأشربة الباردة :

- الأشربة الحلوة – الحامضة : وهي تُصنع من العسل المغلي مع عصير التفاح الحامض، أو عصير السفرجل، أو عصير الرمّان، أو عصير الكمثرى، أو الخوخ . وكانت تستعمل للتحميض، أو تشرب باردة مع الثلج .

وغالباً ما كانت الأشربة الباردة تخلط مع **نقاط** من **ماء الزهر** أو **ماء الورد** .

* * *

وقد كان عبد الرحمن الثالث الأندلسي يقدّم الفواكه والعصائر الباردة في **أكواب زجاجيّة مليئة بالثلج المدقوق المُكَسّر**، في زمن لم تكن فيه هذه الظاهرة الأندلسية قد عُرفت في أوربا بَعْد .

* * *

التمر هندي Tamarindus-Indica

يقف بائع التمر هندي في منتصف السوق مرتدياً حلته التقليدية التراثية: سروال أسود، وحذاء كان يُدعى «البابوج» مغلق من الأمام مفتوح من الخلف، وقميص مخطط بالأحمر والأصفر، وصدار يدعى «المتان» يُلبس ملتصقاً فوق القميص، وله أزرار متلاحقة مذهّبة، ويكون هذا الصدار دون أكمام. يشاهد هذا البائع الذي يرتدي «الطربوش» الأحمر، وقد أمسك عدّة طاسات معدنية منقوشة في يده اليمنى، أمّا يده اليسرى فتسند هذا الوعاء النحاسي الأبيض الضخم المثبت على صدره. ومن الوعاء تبدو عشرات الشراشيب الملوّنة التي تنادي باهتزازاتها وفود المارين في السوق القديمة الملوّحة بحرّ الصيف الخانق.

يرنّ البائع «طاساته» بعضها ببعض، مصدراً صوتاً متناغماً ذا صدى معيّن.

يمرّ الناس.. وتُسمع في كل السوق الشرقية أصداء لنداء البائع الذي ينادي المارّين كي يشربوا «التمر هندي» ويبتردوا من حرّ الصيف..

* * *

يُسكب شراب التمر هندي من فوهة الآنية النحاسية. يُسكب ذو الأصل القادم من الهند الذي يكون ثمره في الأصل قروناً تحتوي على ثمرات لاحمة ذات بذور بنية داكنة.

والتمر هندي هو نبات من الفصيلة البقولية يحتوي ثمره أحماضاً منها حمض الليمون وحمض الطرطير وحمض المااليك، ومواد عفصية وبوتاسيوم وفوسفور !!

»الإنترنت «

وهو مشهور في بلاد الشام وفي مصر وبلاد المغرب الأقصى وغالباً ما يُشرب في شهر رمضان بل أن موائد البيوت تتزيّن بكؤوس التمر الهندي **ليُطفئ بارتشافها لهيب الصيام، ويطفئ العطش .**

* * *

- كان أطباء الفرس القدامى يصفون مشروب التمر الهندي لعلاج أمراض المعدة والحميّات وحموضة المعدة .
- وقيل إن الفراعنة لهم الفضل في إدخال زراعته إلى مناطق المتوسط .
- قال ابن سينا :التمر هندي ينفع من القيء و**العطش** في الحمّيات .
- قال أبو بكر الرازي :عصارة التمر هندي **تقطع العطش، لأنها باردة طرية .**
- وذكر ابن البيطار أن التمر هندي **مزيل للعطش** والصداع .
- واعتبر الطب الصيني التمر هندي »**مشبة مبردة** «.

عن »الإنترنت «
Forum Sebty.com

* * *

يطنطن بائع »التمر هندي «.تقول طاساته المصطفّة لأهل الشرق أن تعالوا واشربوا من هذا الشراب اللطيف المصنوع بإتقان، **فهو مزيل عطش الصائمين والمحرورين .**

* * *

شراب التوت الشامي الأسود

يعتبر شراب التوت الأسود المائل إلى الحموضة والمطبوخ مع السكر والماء من **المنعشات القديمة** التي **تساعد على التخلص من الحر والعطش .**

[لقد أثبت العلم اليوم أهمية التوت الأسود في محاربة سرطان المري والجلد والقولون].

تناوله الشرقيون قديماً وحديثاً على موائد رمضان، فهو يسبب الانتعاش لكلّ مَنْ يشربه .

* * *

الجـلّاب (*)

مشهور في الشرق كل الشرق - مصنوع من دبس العنب مع ماء الورد والسكر والماء؛ أو مصنوع من دبس الزبيب المنزوع البذور مع الماء وماء الورد والسكر مخلوطاً بالثلج المكسَّر - وعلى سطحه تعوم صنوبرات سابحة ..

هو شراب الصيف الحار .. عزّ الصيف ..

وكم اشتهرت به لبنان ! وكم أنعش أسواق بيروت، وبخاصة **سوق سرسق !.**

وكم صنع في **جبل العرب** وفي كل بقعة شرقية ينقط فيها دبس العنب أو دبس التمر أو دبس الزبيب جلّاب أحمر داكن داعم **لنشاط الدورة الدموية، مساعد على ترطيب الجوف والتخلّص من الحرّ !**

شراب شرقي بامتياز، يُعتبر **المانع الأوّل للتجفاف** الناتج عن فقدان الجسم البشري الكثير من الماء أثناء الحر .

(*) الجلّاب : يحتوي على الماء + دبس العنب أو دبس التمر الغني بالسكريات + سكر + ماء الورد - يُغلي مع عملية التدخين بالبخور من تحته حتى يصبح كثيفاً .

الصخور والمغاور والأحجار



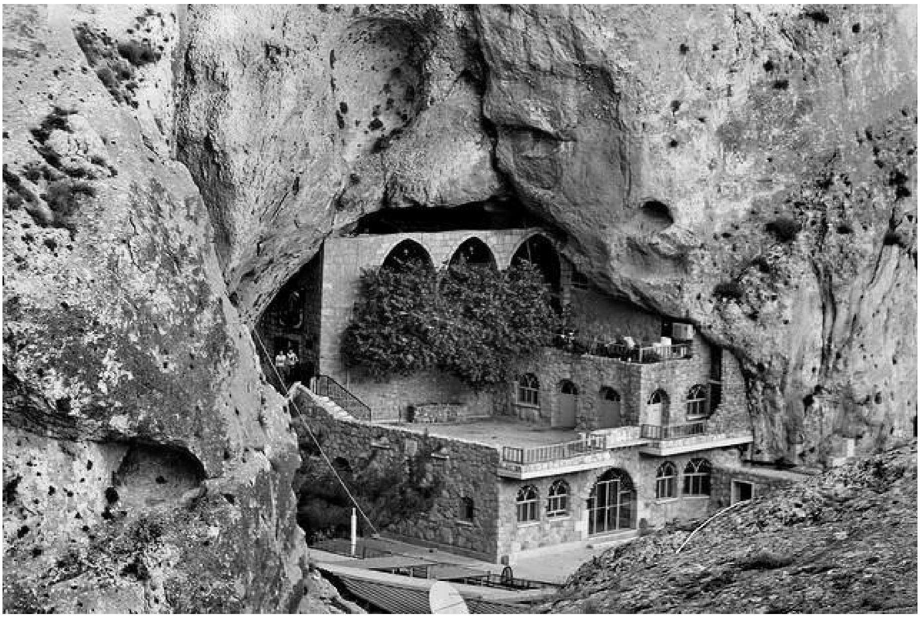
الصخور والأحجار والمغاور

في «التبريـد»

تمتاز المغاور والكهوف الطبيعية **ببرودتها** بخلاف الجوّ الخارجي . وقد لجأ الإنسان القديم دائماً إلى السكن في المغاور اتقاءً للعوامل الجويّة وأهمها الحرارة .

ومن أشهر المغاور في سورية ولبنان :

- **مغارة الدم** : في جبل قاسيون التي حيكت حولها الأساطير .
- **مغاور حنانيا** : في دمشق .
- **مغارة السيدة في معلولا** : تقع فوق بلدة معلولا في القلمون، وفيها دير .
- **مغارة الأربعين** : في جبل قاسيون . وقيل : سكنها النسّاك .
- **مغارة الضوّايات** : تقع في بلدة مشتى الحلو، وهي ذات فتحات ضوئية ونوازل وصواعد .
- **مغارة جبل الكوكو** : تقع في الجبال المطلة على الزبداني قرب دمشق .
- **مغاور جبل العرب** : وأشهرها مغارة الهوّة وهي ذات صواعد ونوازل تشكلت بفعل العوامل البازلتية، ويكسوها الكلس .



دير مار تقلا

- **مغاور يبرود :** في ريف دمشق ومنها مغارة حنانيا .
- **مغاور إدلب .**
- **مغاور السلمية :** ومنها مغاور تل مرج مطر .
- **مغاور حوران :** منها مغاور قرب تل الحارّة .
- **مغارة قاديشا :** في لبنان .يؤمها السيّاح من كل العالم، وحيكت حولها أساطير تموز وعشتار، وهي ذات نوازل وصواعد .
- **مغارة جعيتا :** تقع في لبنان .
- **مغارة الجوع :** في لبنان ومساحتها ٢٥٠٠ م٢ .
- **مغارة (ماوربو) :** هي واحدة من ثلاث مغاور اكتشفت حديثاً، ويقع فوقها (دير آبون) للسريان .

-**مغارة كَفرْ بهم أو كفربو** في منطقة حماة وتتكاثر فيها النوازل والصواعد .

-**مغارة زيتا** تابعة لمنطقة القصير غرب حمص وتتكاثر فيها النوازل والصواعد .

-**مغاور وادي قنوين** :تقع في لبنان قريباً من وادي قاديش .

كل هذه المغاور بمثابة "برّادات طبيعية" تقي من حرارة الشمس، وتهب الرطوبة بل البرودة لمن يخطو ويتوغل فيها .

-الأهمية التاريخية لمغارة (منطف) في إدلب :

اكتشفها أحد سكان منطف، ويدعى (محمد الحجّي) (أو (شيخ الجبل)). وفي المغارة صواعد ونوازل، وهي ذات طبقتين، وتتصل بمغارة (رويحة) بممّر سرداب يسع شخصاً واحداً .

[نقولا كبّاد]

يعلّق (د. أنس حج زيدان) (أن كسراً فخارية وُجدت في بحيرة منطف تؤكد السكن البشري في مراحل ما قبل الميلاد .

-**مغارة البارة** .

-**مغارة سرجيلا** .

-هوّة جهاد في نابيه ← ناباي في المتن في لبنان :

هي هوّة تحتوي على ثلاث آبار، يصعب دخولها .وهي معروفة لأهل القرية لكنها لم تكتشف إلّا حديثاً بسعي بعض الجمعيات اللبنانية المهتمة بالمغاور .

وأروع ما فيها نوازلها وصواعدها المنحوتة بقدرة الله تعالى . وأروع لوحة فيها لوحة طبيعية كأن فيها مجموعة من اللقالق البيضاء منحوتة حول صخرة بيضاء ..

ولا أحد يعلم مدى استفادة الإنسان القديم من هذه المغارة الرائعة الصعبة المسالك .

عُرض برنامج كامل عن هذه المغارة أو الهوة
في التلفاز في ١٧ / ٢ / ٢٠١١

مغارة برقش أو مغارة الظر : تقع في الجهة الشمالية الغربية للمملكة الأردنية، وتقع شرق جبل برقش (٨٧٠) متراً فوق سطح البحر .

*   *   *

الأحجــار

الحجر البازلتي العازل للحرارة :

يعتبر الحجر البـازلتي الموجـود بكثـرة في جنـوبيّ سـورية (حـوران و جبل العرب) **حجراً قويـاً عـازلاً حراريـاً** ولـذلك يـستعمل في البنـاء . معادلـة إيـصاله للرطوبـة منخفـضة بـين الخـارج والـداخل، لأنّ معادلـة التوصيل الحراري بين سطح الحجر الداخلي وسطحه الخارجي منخفضة .

وهو بذلك يعتبر عازلاً للرطوبة بالنسبة للـسوائل وعـازلاً للحـرارة القادمة من الخارج وهو بقدر عزله لحرارة الشمس مقاوم لـصقيع الـشتاء . ومن مواصفاته مقاومة التبدلات الجوية والحرورية .

والبازلت حجر بركاني أميل إلى السواد، **استخدم في البناء المنزلي وبناء القلاع**، ومن **خصائصه مقاومته للحريق** فهو **حجر غير قابل للاحتراق .**

والبازلت حتى اليوم موجـود في المنـاطق البركانيـة المحيطـة بمدينـة السويداء (في جبل العرب وحوران جنوبي سورية .

وقد **نقل المعمار الدمشقي المملوكي** والعثماني هـذا الحجـر إلى دمـشق فكان البناء فيها آنذاك يقوم على ما يُدعى بـ **[الحجر الأبلق]** ويعتمـد عـلى صف من أحجار البازلت، وصف من الحجر الأبيض أو الـوردي وبـذلك

يسري شيء مـن رقّـة ولطـف الرطوبـة الـصيفية في حـواري أهـل المدينـة ومبانيهم وبيوتهم مع الرؤية الجمالية .

أخذت بعض المعلومات من الانترنت

K ua lb Joba

rėl pas e nots dna eti narg

* * *

الحجر الكلسي

يوجد بكثرة في طبقات الجبال الكلسية في المنطقة جمعاء .وهو [الحجر الجيري [ )ena S e mIJ(ويُشكّل بالترسيب الكيميائي والترسيب ذي المنـشأ النباتي . »يعتمد على الحجر الكلسي في البناء «فهو دون فراغات ولا ثقوب، وهو أقل صلابة مـن الغرانيـت .وأغلـب **المنـازل البحريـة ومنـازل حلـب والمنـاطق العليـا** تُبنـى بهـذا الحجـر **)لقدرتـه عـلى درء الحـرارة الـصيفية (و)مقاومته (**.وقد عرفته حضارات البحر المتوسط الـشرقية، **وبنيـت المعابـد القريبة من الساحل السوري بهذا الحجر .وأهم تلـك المعابـد المعبـد الـوثني الشهير بتقديس كوكب الزهرة** الواقع قريبـاً مـن »صـافيتا «ومـشتى الحلـو الذي كان الناس يحجّون إليه ويزوره السائحون حتى اليوم .

وقد رُصفت باحات المنـازل في بـلاد الـشام قـديماً بـالحجر البـازلتي والحجر الجيري الكلسي كما رُصفت بعض الحارات في العهود القريبة .

الآجــر B r ipuə tta

عرفت »ماري «أو »معري «كغيرها من حضارات بلاد الـشام العليـا صناعة الآجر واستعملته كـما عرفتـه حـضارات مـا بـين النهـرين الـسفلى وحضارات سواحل بلاد الشام .فالآجر ليس حجراً صِرفاً بل هـو صـناعة على درجة عالية من الرقي .

فقبل آلاف السنين ١٧٥٠ ق . م تقريباً اشتهر في مدينة ماري **البيت المستدير الأحمر** وكان مبنياً من الآجر أي : **الغضار المقولب والداخل إلى الأفران لطبخه مرتين** .

ولقد كان الآجر وما زال يصنع قطعاً مستطيلة تبنى بها الجدران والقبب، وتُكسى سقوف المنازل المائلة في المناطق الممطرة . واستعملت تلك القطع للتبليط وبخاصة في الفترة البيزنطية .

وللآجر زيادة على جمالياته (غضار مشوي) القدرة على منع اختراق الحرارة نحو الداخل أي أنه يعتبر عازلاً حرارياً جيّداً، ومن أهمية صنعه أن يجعل في كل حجر فوهات ثلاث تساعد على احتفاظ الأمكنة بجو مناسب أرطب من الجو الخارجي .

* * *

الجير أو الكلس

يُستخلص من الصخور الكلسية مادة (الجير أو الكلس) التي يستفاد منها في طلاء جدران المنازل (تلييسها) . وغالباً ما يلجأ سكان القرى إلى إعادة تلييس جدرانهم كل عام ليساعد الجير في أن **يكون مادة تعزل كل التقلبات الجوية من حرّ وبرد ومطر** .



الرُخـام Marble

يُعتبر الرخام من الأحجار الـصلبة الجميلـة **والـشديدة الـبرودة عنـد اللمس** لكن الرخام غالي الثمن لندرته وصعوبة صقله، لذا استُعمل في بنـاء وصناعة الأعمدة والأرضيات .

وتشتهر المنازل الشامية باستعمالها **الرخام لبناء الأواوين** التـي سـوف نأتي على ذكرها، وبناء **الفسقيات التي تحتفظ ببرودة الماء** ..

وقد صنعت حضارات بلاد الشام أيضاً **الكـؤوس الرخاميـة لتقـديم المشروبات** لأنه «يساعد في الاحتفاظ بالبرودة القصوى للأشربة ».

وتشتهر منطقة (البدروسـية) شمالي بلاد الشام الغربية برخامها الجميل .

الحجر البركاني الخفيف :

حجر ذو مسام . يُستخدم بعد أن يُطحن ويُخلط ببعض المـواد الأخـرى، في البناء . فهو كالحجر البركاني الأصـم عـازل للحـرارة . وتبنـى منـه بعـض الأمكنة، لمقاومته، وخفّته، وعدم قابلية احتراقه . ويُستعمل بالتالي بفراغاتـه المطحونة على جعل الأبنية أكثر مقاومة للعوامل الجوية، وهو موجود بكثرة في جبل العرب وفي حوران .

آلية بناء جدران الجوامع والكنائس :

تُبنى الجدران الخارجية لأمكنة العبادة من حائطين من الحجر، ويُجعـل بـين الطبقة والأخرى فراغ يسمح بمرور التيّـارات الهوائيـة، ممـا يزيـد في عـزل العوامل الجوية الخارجية، ويقيها من عامل الحرارة الشديدة .

هذا المبدأ . هو المبدأ نفسه الذي بنى فيه (بُخْتيشوع) قببه الشهيرة التي سـبق أن ذكرناها .

* * *

المنتجات الحيوانية المُبَرِّدة

المنتجات الحيوانية المُبَرِّدة

نتساءل: هل كان سكان المنطقة قديماً يستفيدون من المنتجات الحيوانية لتبريد أجوافهم، وللاتقاء من حرارة الشمس الحارقة؟

لا شك في ذلك. **فالناتج الحيواني المستمر هو اللبن ← الحليب. والحليب الطازج** بعد أن يغلي يروّب ليصبح **لبناً رائباً.**

اللّبن: يُشرب اللبن أيام الصيف الحارّة لتبريد الجوف ولإطفاء العطش.

العيران: يخلط اللبن مع قليل من الملح والماء أو الثلج ليصبح (الشراب المفضل الأكثر فاعلية في الشرق للتبريد).

اللبن مع الخيار

عرفت حضارات بلاد الشام الزراعية أهمية نبات الخيار (الصيفيّ) فأضافته مفروماً إلى اللبن وقليل من الملح، ليكون الوجبة الأولى التي يلجأ إليها القائظون بعد الانتهاء من أعمالهم. وكانوا وما زالوا يتناولون (اللبن مع الخيار) مع وجبات الطعام الجافّة.

اللّبن المصفّى ← اللّبنة

عند تكاثر المنتوج الحيواني وبعد صناعة اللّبن من الحليب تعلّمت الحضارات منطق تجفيف اللّبن للاحتفاظ به مدة أطول للغذاء، **ولترطيب الجوف في الصيف اللاهب.**

- **الجميـــد**

إن عملية التجفيف الشديد للّبن وتخليـصه مـن مائـه تجعلـه (جميـداً) يمكن استعماله أيام القحط، أو في الولائم بإذابته ليعود محتفظاً بكلّ مكوناته الغذائية **وقدراته على إزالة الشعور بالحر .**

- **الهقــت**(*)

هو اسم اللبن المجفف في بوادي بلاد الشام . ومـا أحـوج الراحـل في ترحاله إلى كرات جافة من اللبن يذيبها متى شاء **ليتخلّص من الشعور المُلِّح بالعطش والحر .**

- **القنبريس**

يـدعى الجميـد في سـهل البقـاع القنـبريس . وللأهـالي طـريقتهم في التخلص من الماء الموجود في اللبن بوساطة **مشاقات الكتـان الرقيقـة** حتـى يتخلص نهائياً من مائه ويتجفف، ثم ليستعمَلَ **مرطباً ضد الحر في الصيف**، وضد أمراض الصيف الهضمية .

* * *

(*) الهقت : وهو تحريف للكلمة العربية القديمة (الإقط) أبدل من الهمزة هـاء، ومـن الطاء تاء، أو الهقط بإبدال الهمزة هاءً . ويُسمّى في بعض ريف حوران « الكتي ».

الناتج الحيواني

المستعمل في بناء

الخيام -البيوت -المظلات -

الأكواخ -المضارب -الفسطاط

الناتج الحيواني المستعمل

للبيوت عند العرب البدو

جعل (*) العرب بيوتهم على ستة أشكال :

(قبة من أدم) (مظلة من شعر) (خباء من صوف) (بجاد من وبر) (خيمة من شجر) (أقنة من حجر).

المصدر : د. جواد علي
تاريخ العرب قبل الإسلام

النتاج الحيواني الخارجي الذي يستعمل للتبريد

الشعر - الوبر - الجلد - الصوف

يؤخذ استعمال هذا النتاج عن سكّان البوادي والصحارى . وقد كانت القبائل المتنقلة تلجأ إلى التخلص من حرّ الصحراء أو البادية بوساطة أمور كثيرة منها هذا النتاج المأخوذ من الحيوان .

مظلّة الشعر :

اتقى أهل البادية الحرّ وعاشوا تحت **الخيام** المصنوعة من **شعر الماعز المجزوز** وتكون الخيام قائمة ومثبتة على أعمدة خشبية تُسقف بأقمشة منسوجة ومحاكة، وتُحاط الخيمة بأقمشة مماثلة تفتح فيها أبواب **حسب اتجاه الريح** .

(*) نسب جواد علي هذا التصنيف والتعداد إلى ابن الكلبي فقال : وقد جعل ابن الكلبي بيوت العرب ستة : ... لكنّه ساق بعد ذلك سبعة زاد عليها « أقنّة من حجر ».

الخيام السوداء لبني قيدار

هي أشهر خيام العرب . وكان نسيجها يُصنع من شعر الماعز الأسود الذي كانوا يربّونه، ويرحلون به طلباً للماء والكلأ والطقس المعتدل .

بجاد من الوبر

هو **كساء مخطط** مغزول من أصواف الأغنام ومنسوج بالصيصة(*) .

وقيل أن معاوية بن أبي سفيان، مازح الأحنف بن قيس سأله : ما الشيء الملقبّ بالبجاد؟ قال : هو طعام السخينة يا أمير المؤمنين الملفوف بالبجاد، وصُبّ اللبن فيه ليحميه .

فالبجاد إذاً كساء سميك قد يُلبس وقد يكون خيمة .

لسان العرب المحيط - ابن منظور

الجلـــد ← الأدم

استفاد أهل الجزيرة العربيـة وأهـل الرافـدين وبـلاد الـشام اسـتفادة قصوى من جلود الحيوانات . سواء كانت جلود إبل أو خراف أو أبقار (في بلاد الشام) أو غير ذلك من جلود الحيوان .

والمعروف **أنّ الجلود تمنع تسرّب الحرارة الشمسية، كما تمنع تغلغل البرد .**

* * *

استفادت القبائل من المصادر الحيوانية من غنم وماعز، كانت بيوت العرب كما جعلها ابن الكلبي ستة :

قبّة من أدم وهو الجِلْد

مظلة من شعر

(*) شوكة الحائك التي يسوّي بها السداة واللحمة وهي "الصيصة" في قاموس لسان العرب المحيط لابن منظور خُففت في اللغة الدارجة إلى صيصية .

خباء من صوف

بجاد من وبر

خيمة من شجر

سوط من شعر وهو أصغرها .

* * *

وقد كانت البساطة مهيمنة على النمط السكني للشعوب في الجاهلية إلّا ما كان من قصور لبعض ملوكها .

فالملاحظ أنّ البناء العربي في الجزيرة العربية كانَ من **الأَدَم** الذي هو : (جلود الحيوانات المسلوخة والمدبوغة) و (**المقاومة للحرارة الخارجية**).

* * *

القبّة : نمط سكني مصنوع من الأدم . وتكون القبّة مستديرة الشكل وقد ذكرت كتب التاريخ الكثير عن : **القباب الحمر** التي تُعلن عن ذوي اليسار والجاه .

وقد اقتصرت « قريش » وهم من الحِمس على استعمال القباب المصنوعة من الأدم لا يضربها غيرها بـ « منى » لأنهم كانوا لا ينسجون مظال الشَعْر . وكانوا **أهلَ القباب الحمر** المصنوعة من (الأدم) وقد استعمل الرسول (صلى الله عليه وسلم) في حجّه هذا النوع من القباب .

واقتصار قريش على هذا النوع من القباب له سببه الديني والاقتصادي والاجتماعي إذ كان لقريش في عهد الجاهلية ذكر عظيم .

تاريخ العرب قبل الإسلام د . جواد علي

وكان العرب يصنعون من الأدم مأوى يُسمى « **الطراف** » وهو مكان واسع للاستقبال يتخذه أغنياء الناس، **فيتلافون تماماً حرّ الشمس**، لِيكون

مكاناً واسعاً من **الظلّ الكتيم الذي لا تخترقه الحرارة** لوجود **شبابيك التهوية** المتكاثرة فيه .

وغالباً ما يكون التشكيل الهندسي للخيمة مخروطياً، وفي أنحاء المخروط فتحات للتهوية .

المضارب :

هي أشهر من أن تُعرَّف . وكلما كانت القبيلة أكثر عدداً وشهرةً كثُرت مضاربها . **والمضرب الكبير** الواسع يكون لسيد القبيلة، وهو الخيمة الواسعة . وكما أسلفنا كانت الخيام تُضرب بأوتاد تغرز في الأرض وتكون **أبوابها** قابلة للتغيير حسب اتجاه الريح، فهي **تفتح باتجاه الريح الباردة صيفاً** وتُغلق شتاءً لتدرأ ريح الشمال . وبين قطعة نسيج وأخرى تفتح نوافذ صغيرة مشبّكة بالحبال المتصالبة **لتُنعشَ الجو الداخلي للخيمة** بوساطة **المجاري الهوائية المتقابلة** في الخيمة .

الفسطاط

هو أكبر المضارب وأعظمها وهو مضرب الملك وخيمته .

ولن نكرر بأن تهوية الفسطاط كانت مدروسة ومميّزة لأن الفسطاط كان مقسماً إلى أماكن وغرف وكلّها **مُهواة ومحجوبة عن الشمس وحرارتها الصيفية** .

الوبر

الوبر شعر قصير وكثيف يكسو جلد الحيوان . وغالباً ما استفاد الأعراب من وبر الجِمال، ولم يكونوا يجزّون الوبر كله، بل يبقون منه على الجلود التي كانت تستعمل لأمور كثيرة . **أمّا** الوبر المجزوز فكان يُصنع حشايا وتكايا .

تكوين الهندسة البدائية لتلافي الحرّ الصحراوي، والبرد الليلي، والرياح والمطر

إن طريقة إقامة الخيام والمضارب تدل على هندسة مدروسة أحسن الدراسة **لتلافي الحرّ الصحراوي** . **فالتلاعب بالنسيج وتغيير اتجاه فتحاته** يغيّر بالمؤكد من جو المضرب المنصوب . ولقد كان العرب على قدرة فائقة في **تقدير اتجاهات** الرياح وأنواعها ممّا **يؤثر في التخلص من شدّة الحر**، والاستفادة **من اتجاه الريح** وتلاعبها داخل المضارب صيفاً .

* * *

الشعر ← الصوف

من أهم الوسائل التي صنعها البدو لأنفسهم بيوت الشعر التي تتميز بمقاومتها وتحمّلها للظروف البيئية الصحراوية الصعبة .

تصنع هذه البيوت من شعر الأغنام الطبيعي . وهي خيام ثابتة تعتمد على ركائز تسمح للهواء بالتغلغل والتجول داخل هذه البيوت أو الخيام **ممّا يؤدي إلى ترطيب المكان ووجود تيّار هوائي لطيف** . وصوف الأغنام بعد جزّه من الخراف كل عام، ينبت من جديد، فيجزّ في العام المقبل . وبهذه العملية **تتخلص المواشي من كمية الشعر الصوفي المتثاقل على أجسادها** . وإن هذا الصوف أو الشعر المغزول والمعمول خياماً وبيوتاً يعتبر **مانعاً قوياً يحول دون وصول أشعة الشمس الحارقة ويحمي البشر من الحرارة** الشديدة .

سوط الشعر :

هو بيت شعر يقام على خشب يساعد على الرطوبة الداخلية لعلّوه .

* * *

خيام الشجر

غالباً ما كانت تقام في مواطن **الواحات** وقرب السواحل حيث يتكاثر الشجر والنخيل . وقد أوردنا سابقاً كيفية الاستفادة من **جريد النخل** حتى **يتخلله هواء** البحر **الساحلي** أو في **الواحات** « **ليمنع الحرّ** وليجير البشر من الرطوبة الساحلية الثقيلة » آلية تلاعب الهواء وتخلّله .

بعض مصادر الماء في البادية

يملأ الأعراب جرّتين رشيقتين بالماء من الواحة القريبة أو من البئر، **ثم تُرفع الجرّتان عن الأرض، ويُجعل فوقهما مظلة من جريد النخل**، فيتخلّل الهواء إلى الجرّتين ويبرد الماء .

عن الإنترنت - سليمان الذويح

الآبار في البادية قبل الإسلام

كان أهل الصحراء والبوادي يتبردون بالآبار أيّام الحرّ .

والبئر تدعى (الركية).

تاريخ العرب قبل الإسلام

د.جواد علي -دار الملايين - بيروت

الآبـار

يجمع البدوي خيمته ويرحل .. فكل شيء في المضارب البدوية متحرك وقابل للتغيير وتعديل الاتجاهات وتغيير المواطن والتأقلم مع المحيط الجديد .

يجمع البدوي متاعه القليل، يدلّل نساءه راكبات للهوادج، يسوق قطعان إبله ويمضي باحثاً بشكل دائم عن مكان أفضل لاستقراره مصادفاً في طريقة « **عشرات الآبار** ».

والبئر هبة صحراوية ذات ماء شريب نقي يتشمم زكاوتها البدوي العريف من شميم الريح، ويهتدي إلى أمكنتها بوساطة نظره الثاقب وقدرته الترحالية الدائمة .. وما **كالماء من سيّد للتغلّب على العطش والتجفاف الصيفي** .

نبع القويطير :

في المملكة العربية السعودية :

وهو نبع عجيب لأن صخوراً صمّاء بازلتية تنقط ماءً منذ آلاف الأعوام في الصحراء .

وقد كان الملك (عبد العزيز آل سعود) يشرب من هذا النبع كلّما مرّ في لافح الصيف - والماء يكون قراحاً بارداً بشكل دائم .

و (القويطير) كما يُسمى (جبل في القطيف ينقط ماءً) واسم الجبل (جبل الوطأة) .

خبر في - النت - ١٨ / ١ / ٢٠١١

منازل أهل المدر في شبه الجزيرة العربية والبلدان الحارة

أهل المدر هم الحضر الذين استقرّوا في مكان فأعمروه وسكنوه وزرعوه - اعتمدت أنماط البناء لديهم في البداية على المواد الطبيعية الموجودة في المناطق المنتقاة - ففي البداية صنع الناس بيوتهم من **أغصان الشجر** ومن **عيدان وجريد** - ثم صنع البشر بيوتهم من **الطين واللبن** - وقد سبق لنا الكلام على هذه الأدوات كلّها في استبعاد حرارة الشمس عن السكان، كما سبق لنا طريقة صناعة اللَّبن .

بعض المعلومات من كتاب - تاريخ العرب قبل الإسلام .
د - جواد علي - الجزء الخامس ص ٥ - ٦
دار العلم للملايين - بيروت

* * *

التخلص من الحر في أرياف (الجزيرة العربية) القريبة من المدن

في منطقة (القطيف) كان الفلاح يبلل (غترته) أو إزاره بالماء، وربما بلل ثوبه، عند اشتداد الحرّ والرغبة في الاستراحة، ثم يتجه الفلاح إلى ظلال النخل، فينثر شيئاً من (خوص النخل) أو من (ورق الغصوب) ثم يضع إزاره المبتل وغترته فوق هذا السرير النباتي ليأخذ قيلولة صغيرة .

العم أبو سلطان - الإنترنت

البرجيـل

البرجيل أو البارجيل بناء هندسي استُعمل في الخليج العربي وإماراته، وفي بلاد فارس وسيلة ممتازة للتهوية والتخلّص من الحرّ بتمرير تيار هوائي .

أية ريح أسمتك «برجيلاً» أحادثك ولا أعرف منك .. ولكن أعرف عنك .. مررتُ قرب البيوت الساحلية القديمـة ذات اللـون الأشـهب المحمـرّ، فتشت عن أبوابها فوجدتها صغيرة، لأنهـا تعـادي الـشمس الحارقـة في البحـر الخليج الأسطوري، وقرأت أن الطوفان الأبدي النُّـوحيّ رمـى بمائـه المجنـون فيه، وتركه للحرارة، يتلظى في الصيف المغبر، ويتلظى سكانه بريـاح غريبـة محمّلة بالرمال تكاد تخفي الرؤية وقد أخفت لون السماء الأزرق .

مررتُ من هناك، وشاهدت الرمال كيـف تتلـوى، وترسـم لوحاتهـا وانحناءاتهـا، وتغـير جـسدها ذا الـذرات ليـصبح وهـاداً ووديانـاً وسرابـاً وأوهاماً .

مررتُ في بوابات البيوت العتيقة فشاهدتُ النوافـذ شـديدة التـضيّق **تمنع حرّ الشمس الصيفية من التغلغل داخل الغرف الساكنة** التي تُطـلّ عـلى البحر الساخن، لكني حين رفعت رأسي شاهدت «البرجيل».

فأية ريح أسمتك «برجيلاً» .. وأية عقلية فذّة جعلتكَ أداة للـتخلّص من الحرّ لتُروى الحكايا من بعدك ولتصبح رمزاً بعد أن كنتَ حاجةً؟ .



البرجيل - الخليج العربي

مررتُ قرب البيوت القديمة فشاهدت البراجيل مبنية فوق غرفها . براجيل من الطوب المحمرّ الذي أصبح طيناً، واستعان بالأخشاب كي يثبت نفسه .

وسألتُ !! قالوا : براجيل الفقراء مصنوعة من أغصان الشجر، وبراجيل الموسرين مثبتة في أعالي الأبنية .

قالوا : البراجيل أيقونة الماضي الأثرية المعمارية التي شيّدت بمفردات البيئة المحلية لتلبي واقع الحياة وظروفها التي جعلت منها عنصراً معمارياً لها .

وعرفتُ أن البراجيل كانت في مصر منذ ٣٠٠٠ آلاف سنة، وما زالت طريقة معمارية فذة لتلافي الحر . وذُكر أن في الجيزة قرية من قراها «مليئة بالبراجيل» وهي تابعة لمركز أوسيم «التي ما زالت مستخدمة .

وعرفتُ أن البراجيل كانت مستعملة في أيام الدولة العباسيّة !!».

المعلومات بتصرف لغوي تام
عن الإنترنت (حولة)

*   *   *

المناطق الحارة والمتربة

تلافي الحرّ في المناطق الحارّة

- في الأيام الشديدة الحر كان أهل بعض المناطق يلجؤون إلى **لَفّ أجسامهم بأقمشة** مبللة بالماء يتركونها حتى تجف ثم يعاودون بلّها ولفّها .
- وكان بعض سكان المناطق في السودان، **يُسقطون أنفسهم في براميل الماء** يبتردون من شدّة الحرارة .
- كان سكان الجزيرة السورية وسكّان العراق **ينامون ليلاً على سطوح منازلهم**، لأنّ الليل يصبح رطباً وجميلاً ومنعشاً في المناطق شبه القارية، في حين تكون المنازل محتفظة بحرارتها التي اكتسبتها أثناء النهار، ويكون السطح متلاحماً مع الهواء الليلي المنعش، ولا فاصل بين النائم وبين القبّة السماوية .
- **ونوافذ البيوت في الأماكن المتربة والمغبّرة** تكون عالية ومحكمة السدّ كي لا يتخللها الغبار الرملي القادم من البادية والصحارى مع رياح الصيف الجنوبية المسمى «طوز» كما أسلفنا، وهو يهاجم مناطق بلاد الشام الشمالية كما يهاجم الكويت ودول الخليج والسعودية، **وتكون الستائر سميكة مسدلة على النوافذ تصد الرمل** الذي يتعشق بأقمشة **الكتّان** وكان السكّان يلجؤون إلى **غسلها من الرمل**، ثم يعيدونها إلى أمكنتها .

- **وتُعْتَبر الأشجار غربالاً للريح والرمل**، لذا يلجأ سكّان المناطق الحـارة إلى زرع الأشجار حول بيوتهم ـ وقـد تجـود الـصحارى والبـوادي ببـضعة أشجار متفرقة يستظلّ بها ـ

* * *

- ## لباس الرأس

كان لباس الرأس، وما زال، ضرورياً لكل سكّان المناطق الحارة ـ فلكـل منطقة «عمامتها» الخاصة بها أو «كوفيتها» وتستعمل ألبسة الرأس صيفاً وشتاءً في بلاد الشام وما بين النهرين والجزيرة العربية وصولاً إلى أقاصي آسيا الداخلية ـ

وللنساء لباس رأس يدعى «الخمار» وهو ما يزال مستعملاً ـ

فالكوفية والعقال ولفّات الرأس والعمامات والخُمُر كانت عـبر التـاريخ **وسيلة تمنع حرّ الشمس من التسلّط على الرأس، وتقي الرأس من الحُمى** كما تقي الرأس والوجه من الغبار والهواء ـ

- ومع الأيام أصبح **غطاء الرأس زياً** تتفرّد كلُّ منطقـة بطريقـة وضـعهِ ـ وقد عُرفت في بعض المناطق «**اللاءات**» و «**المناديل النسائية**» الـشفافة أو المتوسطة الشفافية، كما عُرفت في الصحاري **الخُمُر ذات الجلود** أو **المعادن** اتقاءً للحرارة الصيفية ومنعاً لتسرب الرمال واستنشاقها من الأنف ـ
- وأصبحت مع تطور الأيّام طريقة للـستر والاحتـشام بحكـم الواجبـات الدينية .

- **ولفائدة التلثُّم عُرفت «قبائل الطـوارق »** في صـحارى إفريقيـة الـشمالية بتلثّم رجالها الذين يتقون باللثام رمال الـصحراء وعثـرات الرمـل، ثـم تحوّل لثامهم إلى رَمز يُعرَف به رجال «الطوارق ».

•• الأسود و الأبيض

ارتدى رجال الجزيرة العربية **[الثياب البيضاء]** في الصيف والـشتاء مـع **عباءة** اتقاءً للبرد، أو اتقاءً وابتعاداً عن حرّ الصيف ..

- وكانت الثياب بيضاء **لأن الأبيض يعتبر لوناً صاداً للحرارة**،بخاصـة إذا كان الثوب على هيئة قميص يستر الذراعين ويصل حتى القدمين .
- فإذا تـساءلنا عـن **عبـاءة النـساء وثيـابهن الخارجيـة الـسوداء وخُمُـرهن** فالجواب أنّ العباءة التي توضع من قمة الرأس حتـى القـدمين وتكـون رقيقة نوعية القماش، تمنع حرّ الشمس عن الرأس أولاً .وتوفّر أثناء سير المرأة خفقاً مستمراً للتيارات الهوائية التـي تتخلـل العبـاءة الفـضفاضة، وللون الأسود فيها وظيفة التمييز بين المرأة والرجل من مسافات بعيدة، كما يوفّر **تبادلاً حرارياً بين ظاهر العباءة** وبين **داخل العباءة** الذي **تتخللّه الـريح** .بحيـث تـشكل العبـاءة **ضـدّين حـراريين** يـوفران الانتعـاش المعقول .

لكن المسار الحضاري، مالَ عبر الـضرورات العرفيـة إلى جعـل المـرأة ترتدي السواد الذي ارتدته في المآتم رمزاً للحزن المتوسطي بخلاف كثير من بلدان آسيا التي لا تتقيد باللون الأسود في عباءتها وخُمُرهـا .

المراوح (*)

كان الاكتشاف الحضاري اليدوي للترويح والتبريد هو [المروحة اليدوية] ، وأول ما عرفت المراوح في **الصين** حيث كانت تُصنع من **نباتات الخيزران** التي تلتصق بأقمشة شديدة الرقّة من **الحرير** ، وهي ما زالت تُصنع حتى اليوم في الصين واليابان ، وقد تُصنع المروحة من الورق الرقيق .

وفي شبه الجزيرة العربية كانوا يستروحون **بسعف النخل** ثم **بالأدم** ، وفي المناطق التي تنمو فيها أشجار الموز (في المناطق الرطبة القريبة من البحر الأحمر والمتوسط) كانوا يستروحون **بتحريك أغصان شجر الموز** فوق رؤوسهم .

حِمْيَر

ثم صُنعت المراوح من **أرياش الطيور** كالنعام والطواويس .

ويروى عن الملك سيف بن ذي يزن أنّه كان يجلس على العرش وخلفه غلامان يحركان الهواء ويبعدان الحشرات عنه ، وذلك بمراوح

(*) يمكن الرجوع إلى كتاب (عرائس التراث) للمؤلفة ، بحث المراوح ص ٢٩٧ .

واسعة من ريش طيور النعام . وقد كانت تلك المراوح واسعة ضخمة كالمظلّات . وقرب هذين الغلامين يقف غلام ثالث يرشّ الطيب والمِسكَ على رأس الملك، فإذا تحرك الهواء انتعش المَلك وانتشرَ العطر في أنفه .

هذا، مع العلم بأن مملكة (حِمْيَر) وُجدت حوالي عام ١١٥ ق م .

* * *

ولا شك أن **المرأة المشرقية القديمة** كانت تمسك بيدها **(المروحة)** في أيّام القيظ، **لتستنشق هواءً إضافياً متحركاً** بعد أن **كان ساكناً موزعاً** مع إشعاعات الشمس الصيفية الحارّة؛ **لأن تحريك الهواء يزيد التبادل الحروري بين سطح الجلد وتيّار الهواء الحار ملامساً الأدمة .**

* * *

ولن ننسى أن المراوح قد وُجدت في **مصر القديمة قبل ٤٠٠٠ عام** أيام الفراعنة . وقد كُشفَ عن مروحتين في قبر توت ـ عنخ ـ أمون كانت إحداهما من الذهب . وكانت الملكات يتنقّلن في المحفّات، وهنَّ ممسكات بالمراوح كما تبدي الرسوم الفرعونية التي اكتُشفت . وكانت المراوح **تُصنع من (أوراق النيلوفر المجففة)** أو من **(البردي)** .

* * *

المراوح في مهرجان « الخَلْق » عند بعض الشعوب الشرقية

قديماً .. كانت (المروحة) ضرورية في مهرجانات (الاحتفال بالخلق) إذ كانت النساء تحجب وجوهها بالمراوح المصنوعة من **(أوراق الأرز المُنشّاة)** أو من **(الخشب الرقيق المتماسك** بوساطة الخيوط الحريرية) .

المراوح في بلاد الرافدين

كانت المراوح إلى عهدٍ قريب تُصنع بأيدي النساء من سعف النخل التي تُنسج وتُربط **بحامل خشبي من جريد .**

الهفاهيف في بغداد

تدعى المراوح في **بغداد** بالهفاهيف .

أمّا **مراوح القدامى من الزعماء والملوك** فكانت :

- من ريش النعام
- أو من ريش الطواويس
- أو من جريد النخل
- أو من الأدم
- أو من الورق
- أو من الحرير والخيزران .

وقد ذكر نعم أبو سلطان في صفحته على الإنترنت : أنّ أهل القطيف في شبه الجزيرة العربية كانوا يستعملون مراوح مصنوعة من **التوبي** أو من **الصفوى** وهي أجمل ما يكون وأغلى .

* * *

المهاف أو المهفّات

وكانت تقام في البلاد الشديدة الحرارة **وهي ستائر توضع وسط المحال التجارية، ويقوم صبي متفرغ بتحريكها** .وهذه المهاف لا تستعمل في بلدان المتوسط ..

المظلّـــة

كانت المظلّة رمزاً للدولة العبيدية

المظلّة الأولى كانت الشجرة .

فالشجرة هي الأمل والأم والظل والزيتون .

الشجرة هي الظلّ ولو كانت شجرة من شوك البادية .

والمظلّة هي مروحة نخيل .

هي دالية عنب مستندة قرب أبواب المنازل الريفية .

وربما كانت المظلّة شجرة نارنج أو برتقال أوليمون، أو إيوان دار ..

* * *

في بلاد الشمس الحارقة لجأ الملوك إلى «المظلات» بخاصة في بلاد الهند أيّـام الإمبراطوريـة المغوليـة الإسـلامية . فقـد كـان الملـوك يـستظلّون في هوادجهم، أَوْ وهُمْ فوق أفيالهم المزينة بأطواق اللؤلؤ والمرجـان، والغلـمان معهم يحملون المظلات فوقَ رؤوسهم . بل يحملون المظـلات فـوقَ رؤوس الأفيال الضخمة المدلّلة .

ومظلّات ملوك الهند(*) كانت من **الحرير** الخالص، يحملها الغلمان لتقي الملوك من حرارة الشمس . وغالباً ما كانت المظلّات الملكية **بيضاء** أو **ملونة** .

وقد عُني الحكام المشرقيون بالمظلّات، فاتخذها **الفاطميون من الحرير والديباج والخزّ المُحلّى بالجواهر** .

والمظلّة بعامة تقي بظلّها الدائري من حرارة الشمس المباشرة على الرأس .

* * *

اتقاء الحرّ عند بوابات المنازل

بوساطة (العاكول)

العاكول : حاجز يوضع أمام بعض البوابات الكبيرة المفتوحة باستمرار أثناء النهار، وربما وضع الحاجز فوق البوابة . وهو يتكوّن من (جريد سعف النخل) (الموضوعة على) (طبقتين) (توضع بينهما) (أشواك العاكول) (وتربط بخيوط أو أسلاك . ثمّ يُرَش هذا الحاجز بالماء . وعندما تصل الرياح الحارّة التي تدعى (رياح السموم) (من الأزقة والشوارع، وتنسحب بين الأبنية تمرّ أمام (الحاجز) (لتتحول إلى هواء منعش يدخل الدار من بابها أثناء مروره بين أشواك العاكول المبتلة والموضوعة بين جريد النخل .

* * *

(*) الإمبراطورية المغولية .

و (العاكول) أو (الجنجل) أو (العاقول) نبات شـوكي معمّـر A Hag i-

m moceae O يتكاثر في الصحارى والبوادي والأنبار ، ومنه ما في الأريـاف

السورية والبادية ، وهو نبات ترعاه الإبل .

(الموسوعة العراقية : فاضل القيسي)

* * *

البيوت الساحلية في الجزيرة العربية

تعتبر الجزيرة العربية لاتساعها ذات أقاليم تختلف بين الحرّ الشديد صيفاً والمناخ الجميل بل البارد . وتشتهر « الطائف » و « المدينة المنورة » وغيرهما بالمناخ الجميل، وتعتبر المناطق الجبلية في السواحل القريبة من الجنوب كـ « جيزان » باردة تتخلّلها الأشجار الكثيفة والجبال العالية .

وفي **الساحل الحار** كانوا يستظلون نهاراً **بظل الأشجار** طلباً للانتعاش، ثم سعى الناس في الشواطئ إلى بناء **الأكواخ المفتوحة والمسقوفة بجريد النخل**، أو **رصّ الأعشاب الجافة** . ثم بدأ اللجوء إلى **البيوت الطينية**، **بصناعة قطع التبن والعشب** بشكل قوالب ثم تجفَّف . ويغلب بناء هذه البيوت في المناطق الزراعية القريبة من السواحل .

* * *

بيوت الخشب

كانت بعض السواحل تقيم بيوتها من **الخشب المسقوف بجريد النخل** الذي يكون تحته فروع طويلة لتثبيت الجريد .

إن البيت الطيني أو الخشبي أو اللَّبِنيّ يعتبر مرحلة متحضرة أولية للبناء السكني . والملاحظ أن نظام (البيت المسقوف) لم يكن موجوداً في شبه

الجزيرة العربية للابتعاد عن شدة الحر، ولأنّ الأمطار كانت نادرة . وكانت مرحلة وضع الفروع الخشبية تحت الجريد هي المرحلة الأولى لتثبيت السقف مع الاحتفاظ بنظام التهوية المناسب **لعدم احتباس الحرّ** في المكان .

وآلية هذه العملية كانت **بتحريك جريد النخل** عند هبوب الريح مهما كانت ضعيفة، ليشكل هذا الجريد مروحة كبيرة تحسّن من الجو الداخلي للغرفة .

*   *   *

بيوت باكستان القديمة

في المناطق ذات الهـواء المتجـدّد الـدائم كـان يُجعـل في الـسطح **بـوق مخروطي** يبنى بناءً هدفه **تجميع الهواء** ـ هذا البوق المخروطي **ينتهـي بـأنبوب أسطواني عريض** يهبط إلى داخل البيت **وتوزّع منافذه** في الغرف ـ وكلّما تحرك النـسيم في الـصيف الـشديد الحـرارة وبخاصـة جنـوبي باكـستان أو قـرب البوادي، **تدفق الهواء داخل الأنبوب، وساعد على تبريـد البيـت، وبخاصـة أثناء الليل .**

وبينما يكون الهواء الداخل والبارد من الخارج قد تـدفّق داخـل البيـت يصطدم بالهواء الأخفّ نوعياً وهو الهواء الحار، فيبقـى البـارد في الأسـفل، لينسحب الهواء الحار خارج المنزل نحو الأعلى مع حركة تجدّد الهواء .

* * *

بعض بيوت القرى الأفغانية

بيوت طينية لها أسقف من القش .

خالد حسيني
من كتاب :ألف شمس ساطعة

التبريد في أسواق إيران

(بلاد فارس)

كانت أسواق فارس مغطاة بقباب مبنية من **اللَّبِن** أو من **الحجر**، وهي ذات فتحات منتظمة مدروسة، منتشرة على طول السوق وفي الليل **يهبط إلى السوق الهواء البارد لثقله النوعي ويطرد الهواء الخفيف الثقل**. وهكذا يتجمع طوال الليل نسيم بارد داخل الأسواق، لتحتفظ ببرودتها أثناء النهار؛ إذ أن الهواء الحار الساكن الموجود خارج قباب السوق لا يتمكن من الدخول من الفتحات لخفته النوعية.

د. زياد جندي PhD فيزياء نووية

ومما لا شك فيه أن نظام (البراجيل) المعماري للتهوية كان قائماً في إيران، وقد أتينا على ذكره.

* * *

خيام أفغانستان

إنها خيام (الكوتشي) الرُحّل في أفغانستان. خيام سوداء مصنوعة من شعر الماعز.

خالد حسيني

ألف شمس ساطعة، ص ١٨٨

التبريد البدائي
في جنوبي السودان والصومال

في الغابات الاستوائية جنوبي الصومال والسودان كان السكّان يلجؤون إلى بناء **أكواخ من القش والجريد فوق جذوع الأشجار**، طلباً للظلّ واتقاءً من الحرّ، فضلاً عن تهربهم من الزواحف والعقارب والوحوش .

* * *

ممرات بين البيوت في السودان

كانت بعض المدن في السودان ذات نظام طابقي يعتمد على طبقتين .. ولشدة الحر، ولكي تظل النساء في ثيابهن الخفيفة، فلا يرتدين ثيابهن التقليدية التي يمشين بها في الطرقات، **ومنعاً للحر**، وكانت **البيوت تتواصل بعضها ببعض بممرات مسقوفة لتتزاور نساءُ الأسر الكبيرة** دون اللجوء إلى النزول إلى الطريق، والشعور بالحرّ الخانق ..

* * *

بيوت اليمن الفريدة في عمرانها

اعتمد العمران في اليمن على الأبنية الطابقية المتعددة الطبقات والمدهونة بالجص الأبيض؛ **لأنَّ الجص يعكس الحرارة الخارجية، لتبرد المنازل من الداخل .**

والأبنية كثيرة النوافذ متعددتها ـ وكل النوافذ مستورة بالأخشاب **المتشابكة)الشربيّات (** مما يسهّل الستر للموجودين داخل المنزل، ويسهّل وجود تيارات هوائية متواصلة منعشة .

ويعتبر البناء اليمني من أجمل وأرقى أنماط البناء في الشرق ـ وهذه الأنماط في التهوية توجد في حضرموت أيضاً .



بيوت اليمن وحضرموت

ولا بد لنا أن نعود إلى الماضي البعيد لنذكر شيئاً عن :

قصر غمدان

في وصف قصر غمدان الحِمْـيرَي في صـنعاء قـالَ **الهمْـدَاني** صـاحب «صفة جزيرة العرب »:

إنّ القصر كان مشيّداً من عشرين طبقة . وإنّ سقف الطبقة العليـا كـان صخرة !! واحدة بلّورية شفافة يـستطيع النـاظر خلالهـا إلى الـسماء . أن يميّـز بـين أصناف الطيور التي تعلو فوقه ..

م(*): ولعل هذه الصخرة - إن صحّت المقولة « - كانت قطعة كبيرة مـن **الكريستال المدعو لاحقاً « درّ النجف »**.

ويقول **الهمْدَاني** :

أمّا حجارة القصر فكانت ملوّنة . وفي كلّ زاويـة مـن القـصر أُسُـدٌ مجوفة من النحاس . فإذا هبّت الريح **يُسمع لهذه التماثيل صـوت يـشبه زئير الأسود** . وقد بقي هذا القصر المبني قبل الميلاد حتى أيّـام عـثمان بن عفّان (رضي الله عنه) وكانت الشرفات **المتقابلة** والشرفات **العالية** في الطبقات العليا هي **الوسائل المثلى للـتخلّص مـن الحـر**، وللـسماح للهواء المنعش بالتجوّل في أنحاء القصر ..».

م : فالمعروف أن عملية مرور الهواء باستمرار تلطّف من درجات الحرارة بشكل أفضل .

(*) م = ملاحظة .

بعض ما ذكره (أ.لوكر) (١) في كتابه (مع الهلال والنجم) (٢)

رحلة من بومباي إلى إسطنبول (عبر الخليج العربي)

والكتاب ترجمة رنا الصالح
مراجعة وتحرير د. أحمد إيبش
هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث - دار الكتب الوطنية ٢٠١١

مدينة لنجة في بلاد فارس

وتقع جنوبيّ بلاد فارس.

كانت في عام ١٨٢٦ مستأجرة من قبل إمام «مسقط» لمدة ١٠٠ عام.. وقد استأجرها الإمام من «السلطان» أو «الشاه» «الفارسي» وفي المدينة اثنا عشر سداً قائماً عند العيون المائية العذبة. **وكان كل سدّ مغطّى بسقف من الطين** المجفف لحماية (عين الماء) من أشعة الشمس، وللاحتفاظ بالماء بارداً.

أ. لوكر

م (٣): تعتبر هذه الخيمة أو القبة الطينية طريقة مبتكرة.. للاحتفاظ بالماء نقياً من المؤثرات الجوية والرمال.. **فالبناء الطيني.. يساعد على استمرارية برودة النبع المائي عند انطلاقه.**

---

(١) رحّالة أمريكي A. Locker ١٨٦٨.

(٢) هي رحلة عبور من بومباي إلى اسطنبول عبر الخليج العربي عام ١٨٦٨م للرحالة الأمريكي أ. لوكر.

(٣) حرف (م) يعني: ملاحظة.

السطوح الفارسية والسطوح العربية

(عند مضيق هرمز)

تبدو السطوح الفارسية **منحرفة** في جنوبيّ البلاد ناحية الخليج، وهي **مغطاة بحُصْر سميكة** مصنوعة من القصب والخيزران .

ومقابلها : كانت السطوح العربية مستوية ومصنوعة من الخشب المصقول، وفيها سدود صغيرة لتصريف الماء (ميازيب) وهذه السدود مغطاة بطبقة من الطين الممزوج بعشب مقطّع .

أ لموكر - ص ٥٨

التبريد في مقرّ الشيخ مبارك الصباح في الكويت

كان المكان واسعاً عالياً ذا **جدران سميكة**، وله **نوافذ عالية متقابلة** تسمح بتلاعب الهواء، وفيه **بابان يقومان** بالوظيفة نفسها - وهما بابان في الأسفل يوفران دخول الهواء الخارجي وكسح الهواء المتراكم في المجلس، ملزماً لهذا الهواء أن يخرج من النوافذ العالية، وهكذا توفّر حركة الهواء هذه عملية تبريد المكان .

النوم على السطح

كان ينام أغلب سكّان المناطق العربية الحارّة وصولاً إلى مناطق الفرات المحاذية للصحراء، على سطوح منازلهم اتقاءً للحر الخانق أولاً

واستمتاعاً بنسيم الليل المنعش البارد ـ ومن ثمَّ يتخلصون من هجوم الحشرات والعقارب الصحراوية التي كما يقال لا تصعد إلى سطوح المنازل ـ

السراديب في بغداد

السراديب موجودة في أغلب البيوت البغدادية التي بُنيت قبل الهجمة الإسمنتية ـ والسراديب أقبية واسعة مفروشة تتمتّع بجوّ جميل صيفاً، وتُستعمل ثمانية أشهر لشدّة الحر ـ وكان السكان يضعون الأرائك فيها مصطفّة على طول الغرفة أو على جانبيها ـ

أ لموكر ص ١٥٢

التبريد في بغداد

كانت بغداد في عام ١٨٦٨ تشرب من مياه دجلة، والمياه شروبة رغم عكرها ـ لكن أهل بغداد كانوا يضعون في كل منزل ما يُسمّى (شربة) من الفخّار غير المطلي توضع في مكان معرض للهواء، وهي ذات مسام صغيرة تتمّ منها عملية ارتشاح الماء وتنقيته ليستقر الطين في أسفل الشربة في حين يكون الهواء الخارجي الذي يلامس الماء في الأعلى، ويلامس هذه المسامات الصغيرة، ليصبح الماء نقياً وبارداً كالثلج ـ وهذا ما سبق أن فسرناه في التطبيق العلمي لحادثة التبريد التبخري (*) ـ

(*) وهذا ما كان يحدث قديماً في السيارات القادمة من العراق، وقد أخرج المسافرون من نوافذ السيارة جُعَبُ الماء القماشية التي تبرد بنتيجة الترشيح بمرور تيّار الهواء السريع على سطح جعبة الماء ـ

المهندس زهير رشيد

التقاء نهري الفرات ودجلة في (القرنة)

و(القرنة) بلدة تقع تماماً عند **التقاء الفرات ودجلة ونهر الشعب (كرشه)** القادم من إقليم (لوورستان)... وهذه البلدة زاهرة فيها بساتين النخيل، والرمان، والبرتقال، والليمون، والتين. وسبب نداوة المكان هو تلاطم الماء وانتشار رذاذه الذي سبق ذكره عند حدوث التبريد بوساطة (رذاذ الماء) وفي بساتين القرية شجَرة معمّرة من التين.

سور بغداد عام ١٨٦٨

كان في السور من الداخل **صفّان من الحفر المجوفة** التي تسع كلّ منها **قامة إنسان**. وكانت الحُفَر رتلين متتاليين بعمق ستة أقدام، أي أنها تسع في كل واحدة منها رجلاً مُدافِعاً يجلس فيها عند الدفاع عن المدينة، والحراسة، **وذلك اتقاء للحرّ**.

(أ. لموكر) ص ١٤٩

الأكواخ داخل البحر

كانت شيوخ القبائل التي تسكن شاطئ بحر العرب تبني لنفسها أكواخاً تغرس أوتادها الخشبية في قاع البحر وتُثَبّت جيداً. وفوق سطح الماء كانت تبنى مصطبة أعلى من مستوى الماء بحوالي مترٍ، ثم تبنى الجدران من الخشب الرقيق. وبعد ذلك يُسقف هذا المجلس المائي، ويُعزَل ليكون **مكاناً رائعاً لا يدخله حرّ الصيف الخليجي اللاّهب**.

وكان الوصول إلى هذه البيوت المائية شبه العائمة بوساطة القوارب.

كلّ عربيّ من أهل البادية والصحراء والإقليم القاري يعرف تماماً **خطورة أشعة الشمس القوية الصباحية على النائمين في العراء** أو **فوق سطوح المنازل** ويؤكد المقيمون أن النائم إذا لم يَعِ قبل الفجر، وقبل سقوط الأشعة فوق رأسه سوف يصاب **بألمٍ حادٍ في الرأس** .

أ لوكر

م : وهذا صحيح فإن الدورة الدموية تكون راكدة أثناء النوم زد على ذلك **تأثير برودة الليل** التي تكون قد **ملأت رأس النائم** فإذا **تعرض فُجاءة لسقوط الحرّ على رأسه** أُصيب بالاضطراب **واختلال جريان الدم في الأوعية** مما يؤدي إلى الدفاع الغريزي الذي قد يكون غير كافٍ .

[وهذا هو تماماً مبدأ (النقلة النوعية الحرورية)].

ونعود إلى البراجيل

مع طرق التهوية في الخليج العربي ومصر في بعض مناطقها (واسمها ملاقط الهواء).

[تجمع المصادر أن عرب لنجا (*) على الضفة الأخرى من الخليج العربي هم أول من أقام البراجيل [ارتفاع ٥ م لتكون سرعة الهواء أكثر بضعف ونصف .

(*) القواسم (و) بني ياس (من لنجة) برأي لوكر .

م : لكنهم قبيلة عربية قديمة هي قبيلة جاسم استوطنت عُمان وقسم من هذه القبيلة استوطن في (جلفار (على الساحل الفارسي .

م : وبني ياس وجدوا في منطقة تبعد عن (أبو ظبي (٣٧ كم، وسميت الجزيرة باسمهم .

وفتحات «البرجيل» مجهزة بشبكات حديدية تمنع الطيور والهوام من الدخول مع الهواء، أو من التعشيق .

* * *

م : عُدتُ ونظرتُ وأنا في الغرفة البحرية ذات النوافذ المؤلفة من أقسام خشبية سميكة . نظرتُ إلى أعلى فعرفتُ الهدف من «البرجيل» أن يتغلب سكان تلك المناطق البحرية اللؤلؤية الحارّة صيفاً إلى درجة اللامعقول، بالبرجيل في أنماط بنائهم، على الحرّ اللاهب .



البرجيل في دبي

و «**البرجيل**» بناءٌ يُقام في سقف الغرفة مربع تربيع الغرفة، لكنّه مفتوح من جميع جوانبه بفتحات طويلة يعتليها سقف مغلق . وداخل «البرجيل» بناء مثلث الزوايا يشبه البرج .

و «البراجيل» كلمة تعني: مسرب الريح أو ملقط الهواء، و «البرجيل» برج طويل مستطيل الشكل ذو فتحات، يتصل بالغرفة الرئيسية في المنزل، ويلتقط الهواء من جميع الجهات، وهو يحول الهواء الداخلي الساخن إلى هواء بارد لطيف، وذلك بفضل تحسين دوران الهواء، وهو مصنوع من الحجر البحري على ضفتي الأخوار(*) البحرية.

ويقام من زوايا «البرجيل» الأربعة جداران متقاطعان يقسمان الفراغ.

عن الجوهري (الإنترنت)
استكمالاً للموضوع

* * *

تغريدة في معنى لفظة بارجيل

عدتُ ونظرتُ وكانت الريح... أحسست بالهواء البارد يدخل من قسم، لينزل إلى الغرفة، فيدور... يسلّم على السكّان مستبدلاً الهواء الساخن ذا الكثافة النوعية الأقل الذي يتصاعد نحو الأعلى ليخرج من فتحة «البرجيل» الأخرى التي قسمها الجداران المتعامدان، ليكون المكيّف الصحراوي البشري الممتاز الذي كان يستعمل في الماضي، وربما ما زال يستعمل في الأماكن النائية عن المدن، ولكن مِن أين أتت كلمة (بارجيل) أو (برجيل)؟.

(*) الأخوار: جمع خور.
الخور هو الخليج الداخل في اليابسة، أو الشاطئ القريب المُعدّ للرسُو.

هي كلمة فارسية الأصل (باد = ريح) وجمع البرجيل (براجيل).

وكانت كل تلك البلاد (إيران – جنوبي أصفهان – أذربيجان الإيرانية) يطلق عليها قديماً بلاد فارس.

* * *

البراجيل المؤقتة (الليواني)

كانت البوارجيل مقتصرة على بيوت الأغنياء والتجّار. وظهرت براجيل صيفية تُقام مؤقتاً مصنوعة من (الأكياس والأقمشة والحصر) وتُنصب فوق (العرشان) أي العشش المبنية من سعف النخيل تُقام فوق أربعة عمد يتخللها الهواء، وتُحاط من الداخل والخارج بالأكياس (التشبيك) سعف النخل المحاط بالحصير، وتثبت بأوتاد من جميع أطرافها كي تتماسك في وجه التيارات الهوائية. أما الأسقف فتكون من سعف النخل كالمظلات، وتدعى (الداعون).

عن الإنترنت (*)

(*) كان من المفروض أن تلحق هذه الأبحاث الصغيرة بما ورد سابقاً عن البرجيل، لكننا فضلنا وضعها هنا كنوع من الاستفاضة. لأننا نتحدث عن أقوال مختلفة عن البراجيل.

يعود لوكر، فيقول عن »القرنة« :

وقد كان المعتقد سائداً في ذلـك الوقـت (١٨٦٨) من قبـل العـرب والترك والفرس أن (القرنة) هي المكان الذي وطأت فيه قدم سيدنا آدم عليه السلام للمرّة الأولى بل يقولون : هي جنة عدن . وإن هـذه التينـة الـضخمة هي من حفيدات التينة القديمـة التـي سـترت أوراقهـا حـواء وآدم علـيهما السلام .

وكان الناس يبتردون ويتنزهون تحت ظل تلك الأشـجار الـضخمة، ورطوبة الأنهار الثلاثة التي تروي حتى الياسمين الأزرق .

بتصرف عن أ لوكر ص ١٥٣

* * *

نظام التبريد
بوساطة أغصان الشوح في العراق

يُحضر الناس الأغصان ويضعونها على النوافذ كالستائر الخارجية . وتكون منسوجة بشكل حُصُرٍ، ثم يجرون الماء بوساطة ميازيب مقامة من سطوح المنازل التي كانت عادة مؤلفة من طبقة أو طبقتين، فينحدر الماء من الميازيب فوق حصير الشوح النباتي .

عن أ لموكر

م : وقد ذكرنا هذه العملية سابقاً .

* * *

جواميس الماء

كان أهل العراق يعبرون الأنهار والشطّ بنوع من الجواميس أعرض ظهراً وأقصر قامة من الجواميس العاديّة . وكانوا **يطلونها بالطين**، أو **تتقلّب بنفسها في الطين لتتحمّل الحر**، ولكونها **المركب الدائم الرطب للعابرين** .

أ لموكر

مراوح الكويت

كانت المروحة الكبيرة في الكويت تُدعى (هطة) (وهي من **يش النعام**) وتستعمل **لتحريك الهواء المعطر بالمسك** في الغرف .

أ لموكر ص ٧٣

ملفات شرقية شمالية

شاميّة سوريّة

إدلب - معرة النعمان -

دير الزور - الرقة

المزملة .. في دير الزور «وشمالي بلاد الشام شرقاً

يلجأ أهالي دير الزور «الواقعة على نهر الفرات إلى صنع **جـرّة كبـيرة من الفخار ليست كتيمة تماماً** ولها **غَطاء مُحكم**، تُسمّى «المزملة «تُعبأ هـذه المزملة من ماء الفرات، ثم توضع فوق قاعدة من الخشب، لها أربـع أرجـل، ثم يوضع **تحت** هذه الجـرّة **جـرّة أخـرى كتيمـة** شـويت مـرّتين في الأفـران وتكون مطلية بمادة لامعة (*) .

(*) تُطلى الجرار بمادة تدعى اللكَر، وهي مادة شفافة وعازلة تمنع تأثر الوعاء المستعمل من المؤثرات الخارجية .

وقد اكتشف الصينيون هذه المـادة منـذ حـوالي ٢٠٠٠ عـام قبـل المـيلاد، وذلـك باستخدام الصمغ الحليبي المستخرج من «شجر سمّاق اللَك .

كما استخدمه المصريون القـدماء بعـد قـرون مـن صـمغ «الكهرمـان والمـصطك «القلفونة «وهو منتج يعتمد على «النتروسليلوز «وجمعه مع المواد الخام .

وكان الصينيون واليابانيون يضربون شـجرة «البرنيـق «للحـصول عـلى النـسغ أو السائل، ثم يعصرونه ويجففونه بالحرارة .

واللك من أجـود البرانيـق Lacquer وهـو غـشاء لامـع عـازل يـستخدم لتغطيـة المصاحف والخشب والخزف الصيني الفخاريّ .

يمزج صمغ شجر سماق اللك مع مذيبات زيتية مثل الزيت المستخرج من أشجار الصنوبر (زيت التربنتين (ثم يتبخر الزيت بعد الطلاء، عند تعرضه للهـواء تاركـاً طبقة الصمغ لاصقة .

كما تستعمل المذيبات الزيتية المختلفة مثـل «زيـت بـذور الكتّـان «و «زيـت بـذور القنب «و «زيت الخشخاش «.

ويستعمل (اللَكر (عن طريق البخ بـالرذاذ، أو التذريـة، أو الغمـر، أو الطـلي، ثـم يجفف عن طريق التبخر ليترك طبقة شفافة غير قابلة للإذابة . =



نساء يحملن الجرار

وعملية تنظيف الماء **وتبريده تكون بارتشاح الماء من المزملة شبه الكتيمة التي برد ماؤها لكون الفخّار الذي تصنع منه الجرار مادة غير كتيمة يرشح الماء النقي منها** .ويرتشح الماء النقي إلى الجرة الموضوعة تحت المزملة، **ويكون مثلجاً وخالياً من الشوائب ..**

وتنظّف المزملة الكبيرة كلّ أسبوع للتخلّص من الترسبات الرملية ..

= وهكذ كانت الجرار والأدوات الفخارية تحتفظ بعد طليها بمادتها العازلة غير القابلة للتأثر .

ملاحظة : سبق أن عُرف في ضواحي دمشق متنزه يدعى «تنزه اليلك» ذكره أبو البقاء عبد الله البدري في كتابه «نزهة الأنام في محاسن الشام» في القرن التاسع الهجري .وقد يدل على تقارب اسم «اليلك» مع «الملك» مما يدل على تواجد هذا النوع من الأشجار الصمغية (شجر سمّاق اللك) الذي تستخرج منه البرانيق والصموغ .

تبريد الماء في دير الزور ومزارعها

يكون الماء شديد السخونة أيّام الصيف الشديدة الحر حين خروجه من الآبار أو الينابيع، **فيلجأ المزارعون إلى وضع مدرّجات من الخشب بشكل متلاحق**، فمتى سال الماء فيها بالتتابع أصبح بارداً في غاية المطاف وقبل أن يمسّ المزروعات .

وما زال أهل المنطقة إلى اليوم يلجؤون إلى هذه الطريقة، عند الرّي بوساطة المولّدات المُعدّة للري، إذ يضعون عدة مدرجات ضمن المسرى، ليصبح الماء بارداً لا يكوي الزرع .

عن السيد إدموند
مكتبة نوبل - دمشق

* * *

بيوت ديار بكر (*)

بالرغم من الموقع الجغرافي الممتاز لـ (ديار بكر) في أعالي منطقة بلاد الشام وما بين النهرين - وهي تابعة اليوم لتركية - تمرّ تلك التيارات الصيفية نفسها بها، لذا جعل الناس في بيوتهم وفي أماكن جلوسهم **بحرات كبيرة قليلة العمق ثم مرروا سواقي جارية صغيرة من الماء** نحو البحرات، حتى **يتبخّر الماء باستمرار من سطح البرك القليلة العمق**، لتنتشر الرطوبة المحببة اللطيفة في المكان تبعد الحرارة، وتجلب الانتعاش والمتعة ..

م - وقد كانت هذه الطريقة مستعملة في بيوت صالحية دمشق، وسوف نأتي على ذكرها لاحقاً .

(*) كانت ديار بكر سابقاً تعتبر جزءاً من بلاد الشام .

يستعمل أهل مناطق بلاد الشام العليا والجزيرة السورية **ستائر الكتّان** كما ذكرنا في بحث «الكتّان» وقد كانت المنازل القديمة مجهّزة بنوافذ أقرب إلى العلو توضع عليها مشاقات الكتّان لتُدخل الهواء النقي إلى الغرف، ولتُبعدَ الرمال التي تلتصق بالقماش .

لكن البيوت المتفرقة والمتجمعة في منطقة الجزيرة السورية المحدّدة شرقاً وجنوباً قرب نهر الفرات كانت تتبع نظاماً معمارياً معيناً يعتمد على بناء **أقبية سكنية تحت الأرض**، تبنى المصاطب على جوانبها الداخلية وتفرش بالبسط والسجاجيد، ويخلد فيها الناس المتعبون إلى قيلولتهم الهانئة أثناء النهار فلا **يشعرون بقيظ ولا لفح حروري .**

وغالباً ما كانت الأسر تقضي نهارها في الأقبية حتى إذا ما غربت الشمس وسيطر الليل شبه القاري ببرده على المناطق جلس الناس على أسطحة منازلهم يتسامرون ثم ينامون تحت ضوء القمر والرطوبة المنعشة التي لا تشبه أجواء الغرف الخانقة الشديدة الحر .

* * *

طرق التخلّص من الحرّ

في مناطق «حلب» وأريافها

تشتهر المناطق الشمالية الغربية التي تلي الجبال وتُطلّ على البادية وتخاصر نهر العاصي المتّجه شمالاً، وتلوّح لغابات الفرلّق، وتتطلع إلى وسامة الفرات البعيد، تشتهر بإقليمها الصعب البارد . وفي سهول إدلب ومعرة النعمان تنمو أشجار الفستق «الحلبي» الشهير بزكاوته .

هذا الفستق يفقش في ليالي الصيف الباردة وتحت ضوء القمر، وتُسمع فقشاته في البساتين المتناثرة الواسعة، لتفترَّ ثغور الفساتق بتلك الآلية التي ذكرناها سابقاً والتي نكررها، وهي ظاهرة الانفجار النوعي في النقلة الحرورية [فأثناء الاحتكاك الرطب البارد بجوّ اللُبّ الحار للفستق يحدث هذا «الانفجار» فيتشقق القشر وتفتح الفستقة فمها، ليظهر اللُبُّ الذي احتفظ بالكثير من حرارة الشمس في النهار ..

* * *

يصنع الحلبيون حلوياتهم التي تحتوي على الفستق، ويضعون فساتقهم فوق «الهيطلية» الحلبية . فالبيوت الحلبية والإدلبية والمعرّاوية وغيرها مزودة بشكل دائم بأكوام الفستق .

لكن الذي سوف نهتم به الآن كيف كانت تتخلّص حلب وجاراتها من الحر الجاف القاسي الأشهب، في بيوتها وفي طرق معيشتها، وما حال الناس في ذلك في زماننا؟

«الباتْنشِكْ»

أهم ما في البيت الحلبي «الباتْنشِكْ»..

والظاهر أن هذه الكلمة ذات أصل آسيوي غارق في آسيو يته فهي ليست كلمة عربية وأهل حلب لكثرة اختلاطاتهم التجارية أدخلوا الكثير من الكلمات إلى لغتهم الدارجة. «والباتْنْشك» يدل على أعلى مكان في المنزل ذي الأسطحة المتدرجة، تُبنى فيه «صبّة» أصبحت اليوم إسمنتية وكانت سابقاً من الآجر أو الحجر أو اللَّبِن.

إنه شيء شبيه بجدار مربع يماثل المدخنة أو أنبوب التهوية أو قناة للتهوية تصل الهواء بين أعلى مستوى وأسفل مستوى، أي «أداة تحريك الهواء» تترك فيه فوهة تُدعى «الطاقة» موجهة نحو الغرب ومفتوحة عليه. وتكون هذه الطاقة موصولة بشكل ما بالآبار المتعددة الموجودة في كل منزل.

وبآلية هندسية متقنة **يحصل ترطيب مستمر** بين الهواء الغربي الداخل من «طاقة الباتنشك» وبين «الآبار» التي تُستخرج منها ممرات مائية تكون قريبة في بنائها من الجدران، وتكون متجاوبة مع الهواء الغربي الداخل من فتحة التهوية الموجودة في أعلى مكان من البيت. ونلاحظ أنَّ آلية هذه الفتحة في أعلى البيت تشبه إلى حدٍّ كبير نوعاً من **هندسة البيوت الشرقية الواقعة قبل حدود «النهر»** ونقصد «نهر سيحون» ويدل ذلك على تشابه وتشابك حضاري بين أعماق آسيا وبين غربها، بل مدينة حلب خاصة وهي الواقعة على خط قوافل «طريق الحرير».

* * *

حوش الأوضة

كانت البيوت الشرقية، ومنها بيوت مناطق حلب، تقسم إلى «سلاملك» وهو مقر استقبال الرجال، و «حرملك» وهو مكان النساء بكل مواصفات حياتهن.

وكان **«السلاملك» يُدعى حوش الأوضة،** أي الغرفة. وتكون هذه الغرفة بمستوى أعلى من مستوى غرف المنزل وأرضياته. وكان في «حوش الأوضة» **فتحة يسكب فيها الماء المستخرج بالدلاء** من الآبار الموجودة في المنزل، لينساب في سواقي صغيرة **نحو البركة الواسعة ليجدد ماءها ونوافيرها**. ويُعزى ذلك إلى عدم توفّر الماء الغزير كما في دمشق.

* * *

الدهليـز

كانت المطابخ تُبنى خارج الدار، يفصلها عنها فتحة سماوية صغيرة. وقبل الدخول إلى المطبخ الحلبي كان لا بد من ولوج ممرّ طويل متعرّج دهليزي كما في بيوت بلاد الشام. وقد بني الدهليز لعدّة أغراض:

١ - عدم تسرب روائح الطهو من المطبخ المنفصل.

٢ - الحصول على تيّار هوائي متجدّد **بين الدهليز وبين «طاقة» مفتوحة في صدر المطبخ بشكل مرتفع**. ويكون المطبخ مبنياً في مكان ملاصق للشارع، ممّا يجعل المطبخ بارداً مستمرّ تجدّد الهواء.

٣ - **الاستفادة من برودة الدهليز**، فيعلّق فيه الطعام، ليحافظ على جدّته فلا يفسد من شدّة الحر. وكان البصل والثوم يعلّقان بهذا الدهليز منعاً للفساد.

الكبــك

هو نوع من السلال توضع فيها الفاكهة وغيرهـا، **وتعلّـق تحـت تيّـار هوائي** بعيداً عن الحشرات والتلوث والغبار والحرّ

ذلك أن حرارة الشمس تخترق الفاكهة في الصيف مهما كانـت خـشنة القشور أو رقيقتها، ومهما كان اللُبّ صلباً أو طرياً، لتصبح حـرارة الفاكهـة **مماثلة لحرارة الجو الخارجي وربما أكثر لانحصار الثمـرة** ضـمن شـجرتها أو مكانها . وبما أنَّ جسم الإنسان يتطلـب الانتعـاش أثنـاء الـصيف في المأكـل والمشرب، بحيث **تكون حرارة المشروبات والمآكل أقلّ مـن درجـة الحـرارة الخارجية، وأقل من حرارة الجسم الداخلية**؛ لهذا لجأ سكان المنطقة إلى حفـظ الفاكهة بعد قطفها بتعليقها في الأماكن الظليلة المهواة، كما حُفِظت الأطعمة فوق نوع من **الكبك المعدني** الذيْ يعلّق في الدهليز غالباً . وهو ما يُطلق عليه اسم (كبك) أكثر من السلال .

* * *

القبو في حلب ومُدُنها

من الطبيعي أن يكون النظام المعماري للأبنيـة في محافظـة حلـب، وفي حلب خاصة، مطابقاً لنظام أبنية المناطق المجاورة لها، وكان لا بد من **وجـود القبو** في كل بيت بل ربما أكثر من قبو واحد . وكان يُلجـأ إليـه بعـد أن يُعَـدّ للجلوس، فيتخلّص السكان من الحرّ الشديد فوق مستوى الأرض .

ونظام الأقبية الأرضية منتشر في بلاد الشام العليا، وفي بلاد الرافـدين وصولاً إلى بغداد التي كانت الأقبية الأرضية السكنية منتشرة فيها . وقد يكـون وجود بئر داخل القبو الحلبي ممكناً ..

للبـادنج مرادفـات :البـادهَنْج (*) والبرّجيـل والبارجيـل والبورجيـل والكشتيل والبادكير .

وله أنواع منهـا :ملقـف الهـواء، وسـماه العـرب **)رواق النسيم(وهـو مسرب** للهواء **موجّه خارج البيت إلى الغرب،** أو حسب اتجاه الريح في المنطقـة بحيث يُحدث جرياناً هوائياً لطيفاً في داخل الغرفة لتلطيف حرارة الصيف .

والكلمة من أصل **]بادا هنج [** و **]باد [** هو الهواء البارد ، و **]هنج [** رمى أو قذف .وقيل :البادكير .وقيل :كلمة فارسية هي **]باد [** ← الهواء و **]نج]** ← الفوهة .

موسوعة الأسدي -حلب

قال أبو الحسن الأنصاري :

ونفحـــة بـــادنجِ أســـكرتنا وجـدتُ لروحهـا بـرد النعـيم
صـفا جـريُ الهـوا فيـه رفيقـاً فـــسمّيناه راووق «النَـــسيم

وقال كمال الدين الغزّي في النهر جـ **١** /ص **٣٢١ :**

البادنجات **)**ملاقف الهواء **(**حدثت في حلب منذ وقت قريب حيث إنّه لا دار إلّا وفيها بادنج بعد عدم وجودها إطلاقاً .

موسوعة الأسدي -حلب

والبادنج فوهة في جدار الغرف له بوابة لها غطـاء تحكّـم ونفـق تهويـة وخزانـة تهويـة وعقـدة تحكّـم ويكـون مكعبـاً أو متـوازي المـستطيلات أو أسطوانياً، ارتفاعه من ٨ -**١٥** متراً حسب طبقات المنزل .وقد يكدّس الثلج في مواضع من البادنج .

(*) موسوعة خير الدين الأسدي عن حلب .

والبادكير

كلمة مُعرَّبة . والبادكير بناء على شكل مثلث مجوّف لا تزيد قاعدته عن متر، وارتفاعه متر، يشيّد فوق السطح العلوي للدار، ويفتح من ناحية الشرق، ويرتبط من الأسفل بمجرى داخلي يكون داخل البناء يصل إلى «السرداب ».

وجد هذا النوع من البناء في بغداد . وهو في حلب يصل إلى الغرف، ويشبه الجوف المفتوح ليدخل منه الهواء الشرقي القادم من سطح البادكير المثلث المبني فوق السطح . وقد يكون للبادكير عدة فوهات متفرعة داخل المنزل .

* * *

الجبّ :وهو البئر

كانت البئر من ضروريات المنازل الشرقية . وأغلبها لاستقاء الماء أو الريّ .

وكما أسلفنا قد يكون في المنزل الحلبي أكثر من جبّ واحد . وربما وصلت الآبار في المنازل الواسعة إلى أكثر من سبع آبار .

أمّا هندستها فكانت تعتمد على بناء جدار حول داخل فوهة البئر المستديرة ووصولاً إلى الماء، ويُقام فوق الأرض جدار قصير يعادل نصف قامة إنسان، وذلك للحماية ولسهولة استعمال الجبّ . وتدعى فوهة البئر «تمّ البئر » أي فم البئر .

وكان **الجبّ يُستعمل لحفظ الأطعمة وتبريدها**، فتعلق داخل الجبّ وتتدلّى فتحصل على الرطوبة المناسبة بعيداً عن الفساد .

* * *

قد تكون تحت البادنج حفرة أو زاوية تؤدي إلى سرداب يثبت فوقها مشبك حديدي أو خشبي توضع عليه قلل الماء والفاكهة في الصيف لتتلقى الهواء البارد .

ويُقال : إن مدينة حلب مقامة فوق أقنية توصل النازل إليها من دار إلى دار، بل إلى خارج المدينة .

ويوجد اليوم في حلب القديمة منزل يحوي على سرداب يصل إلى قلعة حلب . وغرض السرداب كان استراتيجياً لأنّه يوصل بين داخل المدينة وقلعتها .

* * *

أسواق حلب

كانت أطوال أسواق حلب عند بنائها تبلغ مسافة ٢٠ كم . وكل سوق منها تتخصص بنوع من البضاعة وبخاصة أسواق للتوابل .

وقد غُطيت الأسواق المبنية من الحجر بسقوف من العقود الحجرية المتقنة، حادة من الأعلى . وكانت هذه السقوف ذات فتحات مربعة هوائية تبعث على البرودة والانتعاش (لظلّها) و (لاصطدام الهواء الداخل بمقرنصات الأحجار التي بنيت بوساطتها الأسواق، وكانت الفتحات الموجودة بتواتر وانتظام من ثمّ تؤفر دخول الضوء اللازم .

* * *

« يعود تاريخ بناء أسواق حلب أو سوقها الرئيسة إلى مرحلة ما قبل الميلاد (القرن الرابع ق م) . وكانت المحلات التجارية موجودة على طرفي الشارع المستقيم وبين القلعة وباب أنطاكية » .

عن الإنترنت

البيوت الريفية المخروطية
شمالي مدينة حماة ونحو البادية

تبدو للناظر المسافر من مدينة (حماة) إلى مدينة (حلب) إلى يومنا هـذا تلك التجمّعات السكنية القببية الشبيهة بقبعات الدراويش الذين يـدورون بتـؤدة وانتظـام وبروحانيـة مطلقــة يطلبـون التقـرب مـن الـذات الإلهيـة الكبرى ..

هكـذا تعطينـا القبـاب الـشامية، ذاك الـشعور الطـاغي بالعجـب والسكينة، فتبدو كلوحات صوفية، لكنهـا لوحـات لحقيقـة البيـوت المبنيـة **باللَّبِن**، وبعضها مطليّ بمادة **الكلس** البيضاء **المادة العاكسة للحرارة** .

وتُشاهد فتحات تهوية متعددة في القسم العلوي من المخروط السكني المقبب ـ هذه الفتحات تشكل تياراً هوائياً **يشبه إلى حـد كبـير المـراوح** التـي تدور في **السقوف العليا في المنازل الآسيوية الحارة** جلباً للانتعاش .

وإن هذه **الفتحات تجدّد الهواء داخل القبّة**، وتبعث الـبرودة، وتكـون كنوافذ صغيرة ينفذ منها الضوء .

* * *

السواحل

وبيوت بلاد الشام

البيوت الساحلية لبلاد الشام
المطلة على البحر المتوسّط

تتمتع البيوت الساحلية المطلة على سواحل المتوسط الـشرقية بنمطيـة رائعة ومدروسة في البناء .

وقد كان المبدأ الأساس أن يكون الاتجاه **لمقدّمة المنـازل نحـو البحـر .** وكانت **نوافذ المنازل** تعتمد على مبدأ **«التقابـل»** حتـى يتكـوّن **تيّـار هـوائي مستمرّ في المنزل البحري .**

وبما أن أغلب المنازل كانت تُبنى من **«الحجر»** لوجود الصخور الجبلية بأنواعها سواء كانت بازلتية أو كلسية فإن **:** التيار الهوائي **يصبح بـارداً أثنـاء احتكاكه بالحجر** والبناء المدروس الأبعاد .

ويعتمد البناء الساحلي على وجود **[رواق خارجي متّجه نحو البحـر]** يكون مغطّى ومستنداً إلى **ثلاث أو أربع أقواس مقرنـصة** تـسمح بـالجلوس والاستمتاع بهواء ومنظر البحر .

وغالباً ما تكون البيوت الساحلية **مسدودة عن ريح الـشمال مفتوحـة على الشرق والجنوب والغرب .**

وعند بناء البيوت الطينية، يُستعان بأصداف البحر التي تدخل في صناعة الكنبات - لتؤمّن التماسك، ولتساعد تجاويف الصدف في وجود فراغ هوائي يساعد على التبريد .

القرميد

لغزارة الأمطار في السواحل المتوسطية درج البناؤُون على جعل **سطوح المنازل مائلة** - ولجعلها مائلة كان لا بد من سقفها - بالقرميد الآجري - (الذي كان يستند إلى سقيفة من الأخشاب المتينة وربما إلى الحديد - في وقت متأخر).

ويُصنع القرميد بوضع - الغضار - (الطيني العميق والمجفف جيداً المخلوط في قوالب معينة، قابلة للتماسك بآلية التلاحق، ثم توضع قوالب الآجر في الفرن، وتُشوى مرتين أو أكثر، ثم ترصف متلاحقة ثابتة **تقي من الحرّ الشديد** وتمنع تجمّع الأمطار - وغالباً ما يخلط الرمل الأصفر مع الغضار الطيني المحمرّ أو المسودّ، لجودة التربة الساحلية المتوسطية أو القريبة من السواحل - وبعد الشيّ يتمتع القرميد بلونه الطبيعي المميّز، ويترك في كل قطعة من القرميد فوهتان أو ثلاث ليتخلل الهواء داخل القطعة وأمثالها فيساعد على التماسك وعلى بقاء جريان الهواء المُنعش .

* * *

أكشاك الصيادين

كان الصيادون ينتظرون مرحلة ما قبل الفجر حين يتكاثر السمك، ويقبعون في أكشاك **مصنوعة من الخوص ومن دعامات الخشب** والسطوح القشية أو المسقوفة بالأغصان وأوراق الشجر - وتكون هذه السطوح مربوطة بإحكام بخيوط من الحبال الثخينة المصنوعة من **الخيش** أو **الكتّان** .

وفي عرض البحر كان الصيادون يـضعون قبّعـات مـن القـشّ فـوق رؤوسهم لتجنب تأثير شمس الصباح وحروقها على الجلد .ولعلهم يفعلون الشيء نفسه حتى اليوم ..

وفي المساء كانت تلك **الأكشاك تستعمل أمكنة للاسـترخاء والنزهـة**، حيث يتجمع أهل السواحل هرباً من حرّ المدينة .

* * *

السباحـة

تُعتبر السباحة الساحلية **المقوّض الأول للحر** إذا اشتدّ وهـو يـشتدّ في بعض الأحيان ليصبح خانقاً لازدياد مستوى الرطوبة .

والسابح يتمتع بالماء والموج، فإذا انتهى خرج من الماء نحـو الكـشك النباتي يتجفف .

* * *

اتقاء الحر في البيوت الريفية الجبلية السورية القريبة من البحر المتوسط

غالباً ما تُبنى البيوت الجبلية الـساحلية مُـستندة إلى خـواصر الجبـال، متجهة نحو الشروق مفتوحة على الغرب بنوافـذ متوسـطة تـسمح للهـواء بالدخول .

كانت هذه البيوت **تُبنى من الحجر** بشكل غير متناسق يتماشى مع انحدار الأرض .ويُجعل أمام كلّ بيت **مصطبة** قد تكـون مغطـاة وقـد تكـون مفتوحـة

تتعرّش عليها **الدوالي** التي تؤمن **الظل الرائع** والمنظر الجميل والإطلالة التي تضفيها أنواع الأشجار الحراجية أو أشجار البرتقال أو الزيتون .

ويقلّ الشعور بالحرّ في تلك المنازل لكونها حجرية، ولكونها مبنية داخل الخضرة الرائعة، ولكون هواء البحر الذي يتنادى مع السواقي يرطّب الجوّ الجميل .

* * *

السواقي الجبلية

تشكّل السواقي الجارية بالمياه والمتعرجة مع الطرقات الضيقة في الغابات أو السهول الساحلية مناطق تبريد طبيعية تناقلتها الأجيال عبر التاريخ .وغالباً ما يتخذ الشبّان واليافعون طريقهم داخل السواقي ذات الماء الشفيف، فلا يشعر السائرون بالحر، بل بالرطوبة والانتعاش .

* * *

طرق تبريد
المشروبات والماء
في الأرياف والمدن الشرقية

أدوات وطرق تبريد الماء والمشروبات في الأرياف والمدن

تنتشر الجبال العالية في بلاد الشام وأعالي ما بين النهرين لتمدّ المحرورين صيفاً ببرودة **ثلوجها** التي تُخزّن ثم تُنقل إلى المدن كما ذكرنا سابقاً **ليظل الثلج هو المبرّد الأول** للماء والمشروبات والفاكهة في المنازل كما هو الحال في (جبل الشيخ أو جبل الثلج) وفي جبل (صنين) في لبنان اليوم، وفي جبال المناطق العليا لبلاد الشام(*) التي استقت منها حضارات المنطقة في مرحلة ما قبل الميلاد طرُقها المتعددة في نقل الثلج وتنظيفه واستعماله .

وتشتهر جبال (القلمون) الموازية لجبال (حرمون) ببرودتها الشتوية الشديدة وبصيفها الجميل بخاصة أثناء الليل البارد ..

تقترب الشمس من عليائها حين يدخل البرج الصيفي الذي يمتدّ ثلاثة أشهر، ويسبق حرّ أواخر الربيع وأوائل الخريف ليمتد الحرّ الشامي إلى ستة أشهر، ويطول في مناطق ما بين النهرين والخليج العربي إلى ثمانية أشهر .

(*) **جبال طوروس وجبل آرارات** الذي كان يمثّل حدوداً شمالية لبلاد آشور . **وهو دائم الثلج .**

تقترب الشمس فتملك السهول والأراضي والقرى، تمتلك البيوت في القرى والمدن، تمتلك الجبال والسواحل والشجر والبحر بل تصافح وجوه الناس، فكأنها رابضة فوق رؤوسهم منعكسة على قزحيات العيون المتعددة الألوان لسكّان المنطقة الذين يعيشون في بلاد المأوى القديم لحضارات الأرض .

* * *

والحرّ كما أسلفنا يكون لافحاً في شبه الجزيرة العربية وبلاد الخليج حيث تتعالى نسب الرطوبة كما تتعالى نسب الحرّ والجفاف في البادية السورية والمناطق المزروعة التي يجفّ فيها الماء ..

* * *

في بلاد الشام وما بين النهرين يشتد الحرّ في المدن فيلجأ الناس إلى الأرياف، ويكثر المصطافون في المناطق الأبرد، لكن حاجة إنسان المنطقة عبر التاريخ كانت :

١ - إلى ماء قراح لشربه .

٢ - وجود هذا الماء القراح البارد وجوداً مستمرّاً في المنازل !!

٣ - والحاجة الزراعية .

لذا صُنع الفخار منذ الحضارات الأولى وعُرفت أنواع مختلفة من الأدوات المنزلية التي تبرّد الماء والمشروبات .

* * *

الحِقّ الكبير

وعاء فخاري أكبر من الجرّة يُوضَع في جانب رطب من المنزل .



الحِقّ الصغير أو)الشربة (

وحين يُقبل صاحب الدار أو المزارع أو القروية التي تعمل في حصاد القمح سرعان ما يهرع الواحد منهم نحو)الحِق (ليشرب شربة هانئة تنعشه من حرّ الصيف الخارجي .

ويتمتع الحِق ببطن كبير ينتهي بفوهة اسطوانية ضيقة مغطاة بطبقة من)الشاش (الناعم المزموم الذي يمنع دخول الهوام من الفوهة إلى الماء . وقد يكون الحِقّ مغطى بطاس معدني يُسكب فيه الماء للشرب . والمعروف **أن الطاس المعدني النحاسي ممتاز للاحتفاظ بالبرودة** . وقد يكون الطاس من معدن رمادي اللون أقلّ قيمة من النحاس، ويكون معلّقاً بسلسة معدنية كي يبقى معلقاً في رقبة الحِقّ الباردة، فتشعر اليد بسرعة بنوعية الماء داخل الطاس .

أمّا)الجِرار (فهي أخف وزناً، وتُستعمل لسكب الماء في المطبخ .

* * *

عند الشرب من الحِقّ الفخّاري الكبير تُلاحَظ بـرودة المـاء الـشديدة، لأنّ المسام الفخارية تقوم طيلة الليل والنهار بعملية رشح بطيئـة للـماء، ممـا يجعل الوعاء الفخّاري نـديّاً، وبملامـسته للتيـار الخـارجي يعطـي الـبرودة ارتجاعاً للماء في الداخل يُدعى (عملية التبريد التبخري).

وكان كسر الحِقّ أو الجرّة بمثابة مأساة صيفية في منازل المدن والقُـرى على السواء، إذ تفقد المنازل ماءها الزلال البارد ولو إلى حـين. فـإذا عطـش أطفال الدار فإن الأم وحدها هي التي كانت تسكب الماء كيلا تنكسر الجـرّة حتى إن أصداء الحادثة ذهبت لتصير مثلاً شعبياً.

* * *

الجـرّة

هي وعاء من الفخّار ذو بطن كبير وعنق صغير أسطواني ينتهي بفوهة مستديرة. وللجرة أذنان من الفخّار، توضع في ركن رطب مـن المنـزل، ولا تُحمل جيئةً وذهاباً..

وستملأ الصبايا جرارهن من ينابيع الجبال، صبايا الجبال الكثيرة الينابيع في المناطق الأشدّ اخـضراراً. صـباحاً ومـساءً سـيذهبن جماعـات وفـرادى إلى الينابيع، وكل واحدة منهن تحمل جرتها الفارغة لتملأها من الينبوع، ثم تحملها فوق كتفها اليمنى وتمسك بيدها اليمنى (أذن الجرّة) (فللجرة أذنان تحبّان الينابيع ومياه الينابيع حتّى تتخطّى كل فتاة النبعَ والحقول وصـولاً إلى دارهـا الحجريـة التي تسند خاصرتها على (نير الجبل).



وتتم عملية ملء الجِرار صباحاً ومساءً، وحسب متطلبات سكّان المنزل، لتبقى مياه الجِرار المرفوعة عن الأرض بحامل خشبي، باردة منعشة بفضل الارتشاح المستمرّ والخفيف للماء من داخل الجرّة نحو سطحها الذي يلامس الحرارة للمحيط الخارجي .

* * *

طريقة أخرى لحمل الجرّة

ستملأ امرأة الجبال في القلمون جرتها ماءاً زيتاً حُباً حليباً لبناً . تضع ما يُسمى (الكعكة) على قمة رأسها . والكعكة قماش ملفوف مستدير . ثم ترفع المرأة الجرّة، وتضعها متوازنة فوق رأسها، وتسير عبر المسالك وأشجار التين وشجرة فستق حلبي عمرها ثلاثة آلاف عام قرب مدينة معلولا .

تمشي المرأة بقوة وخيلاء، لا حرّ الشمس يتعبها، ولا جرّتها تتعبُ رأسها. ويرتشح الماء قليلاً بعد قليل، ويصل الحليب بارداً واللَبن يُهَيأُ لصنع «الكشك» مع البرغل، ثم ينشر فوق الأسطحة الباردة للبيوت المدهونة بالجصّ الأبيض. ولا تنكسر الجرة.

* * *

الشربة

وعاء من الفخّار أصغر من الجرّة يمكن حمله والتجوّل به في المنزل. و«الشربة» ككل الأواني الفخارية غير الكتيمة يرشح الماء منها قليلاً، ليظل محتفظاً ببرودة الماء فيه. وتشتهر الشربة بوجود فتحة صغيرة يمتد منها أنبوب فخاري بطول أربعة سنتمترات، يُشرب منه الماء بعملية لا يجيدها إلّا أصحاب جبال وقرى ومدن وأرياف بلاد الشام. وإذ يُشرب الماء تكون الآنية بعيدة أعلى من مستوى الفم، إذ ينسكب الماء من الفوهة المدعوة «بوز الشربة» عن بعد ثلاثين سنتمتراً عن الفم، ليدخل الماء مباشرة ويُشرب دون أن يلوث أحد الشاربين آنية الشرب الفخارية. وتُدعى هذه العملية «الزرنقة» ولا يجيدها إلا المتمرن والشاطر.

وأكثر الناس شهرة في «الزرنقة» هم سكّان لبنان وجبالها.

* * *

الخابية

في حوران كلّها، وفي بصرى الشام.. بصرى حوران.. بصرى المدرّج الشهير.. بصرى الآثار والأشعار كان سكان المنازل يملؤون جرارهم التي

تدعى) الخابية (بالماء العذب ـ ثم كانوا، وما زالوا **يلفّون** الخابية الفخارية) بالخيش (وهو كما ذكرنا نباتي المصدر مصنوع من نبات) الجوت (المنسوج المتعامد الخيوط ـ والجوت كما هو معروف مادة عازلة للحرارة وحافظة للرطوبة، **لتحتفظ الخابية ببرودة الماء) الارتشاح الخفيف الذي يمّتصه الخيش (ويحتفظ الخيش ببرودته .**

د محمد قاسم

* * *

القربــة

إلى عهد قريب وفي مطالع القرن العشرين لم تكن الحارات والأزقة الصغيرة مرصوفة بالحجر أو بالإسفلت ـ وقد كان رصف الشوارع الكبرى بالحجر معروفاً منذ العهد الروماني) مثال الطريق المرصوف الحجري بين أنطاكية وروما (و) أرضيات القلاع (و) الشارع المستقيم في دمشق (.

وفي العهد العثماني أصبحت الطرق والأسواق ترصف بأحجار أصغر، مدببة إلى حدٍ ما، برصفٍ هندسي جميل ـ أمّا الأزقة والحارات في المدن الكبرى فكانت طينية مترية ممهّدة مرصوصة ـ وقد رُصِفت الحارات في المدن في عهد الانتداب الفرنسي والبريطاني .

* * *

وكانت مهنة) رشّ الأرض (معروفة ـ إذ يقبل رجل يدعى) السقّاء (يحمل قربة كبيرة مصنوعة ومدبوغة، من جلد خروف أو تيس كبير بعد نزع

الصوف عنه .ودبغه كان العنق يستعمل في إدخال الماء في)القربة (التي لا منفذ لها إلّا الرقبة حتى تمتلئ القربة .ومتى امتلأت حملها السقّاء ممسكاً برقبتها كي يمنع تسرّب الماء .ومتى وصل إلى الحارات الصغيرة يبدأ بعملية)رشّ منتظمة ( )لتسكين الأتربة وتمهيد الأرض (**ولإعطاء تبريد معقول وكافٍ لجو الحارة** ، تبريد ناتج عن)**الرشّ الرذاذي المدروس** (قاصداً عدم تشكّل الطين، وترك كمية من الماء الرطب بحكم مرور الهواء فوقه .

م :وقد عرف أهل البادية)القربة (التي كانت تُستخدَم لخض الحليب واستخراج الزبد، وكانت تدعى)الشكوة (.

* * *

نعارة اللبن

هي وعاء فخاريّ يُشوَى مرتين في الأفران الآجرية المعدّة للشَيّ المعروفة في بلاد الرافدين وبلاد الشام منذ آلاف السنين .ثم تُطلى النعارة لتصبح كتيمة الارتشاح .والنعارة ما زالت تُستعمل حتى اليوم في كل بيت في)عملية صنع اللبن وحفظه (**لقدرة الفخّار على الاحتفاظ بالرطوبة والحرارة** .وتكون النعارة ملساء من الداخل .

وسكب اللبن فيها يمنع عن اللبن البكتيريا الحامضية، ويبقيه مدة أطول محتفظاً بطعمه، **وقدرته على إنعاش العطاش .**

* * *

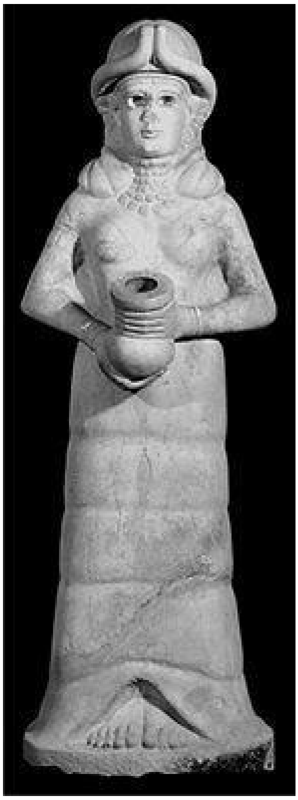
ربّة الينبوع

جمالٌ ساحق . يؤخذ به النـاظر إلى تمثـال «ربّـة الينبـوع» المـصنوع في الألفية الثانية قبل الميلاد . ربّة الينبوع التي اكتشفت في «اري» ← «عري».

وربّة الينبوع هذه هي أمّ كل صبايا بلاد الشام اللواتي يحملن الجِـرار في الصباح الباكر متجهات إلى ينبوع القرية يملأن الجِرار، لتـضع كـل واحـدة منهن جرّتها على كتفها اليمنى، تسندها بيدها اليمنى، وتمشي مع قريباتهـا في الطرقات غير الممهدة، لا تشعر بكللٍ أو تعب . فصبابا بلاد الشام هنّ صـبايا الزيتون والزيت والصعتر والخبز الساخن . وهنّ الصبايا القويـات الأجـسام اللائي يملأن الماء عبر الألفيات، وهنّ يغنين أغـانيهن الفريـدة . وكـل واحـدة منهن هي عشتار الرمز، عشتار القصيدة، عشتار الينبوع ورمز الخصب ..

وفي المنازل الحجرية المسندة على خواصر الجبال تنطلـق مواويـل المـاء القراح العذب .

* * *



ربة الينبوع

وتبتسم عشتار من خلف ألفيات الأراضي الخصبة تبتسم (نانا).

وتبتسم «ربّة الينبوع» في حنان بالغ القِدَم ، وتظل الصبايا في بلاد الشام يملأن الينابيع من البعيد بجرارهن الفخارية صباحاً ومساءً .

*   *   *

صناعة الأواني الفخارية

يؤتى بتراب أحمر نقي **ندّته الأمطار لا الماء العادي** !وعلى الـتراب أن يكون بعيداً عن أرجل المارّة ومرور الحيوانات والتلوّث .ينتظر الصانع حتى يصبح الغضار (طيناً) مشبعاً بالماء المَطَري النقي .وغالباً ما كان يؤخـذ هـذا الغضار الخاص بعيداً عن أشجار النخيل في مسار النهرين دجلة والفـرات، في الحضارات القديمة، وبعيداً عن الأشجار والأحياء والمساكن في الأماكن الأخرى .

بعد تحوّل هذا التراب الغضاري إلى (كتل طينية) كان لا بد أن يجفـف تماماً .يؤخذ هذا الطين الأحمر الجاف، ويدوَّر مكـان ثابـت حيـث شُـكِّلت وتُشكَّل بالشكل المطلـوب بوسـاطة (الـدولاب) أو (الأيـدي) بالتحريـك والدوران المستمر .

ومتى كان الانتهاء مـن الـشكل المطلـوب للآنيـة الفخاريـة أو حتـى للقوالب المعدّة للبناء أُدخل الفخّار في فرن من الحجر الناريّ الذي يتحمّـل درجات عالية مـن الحـرارة لِيُـشْوَى .وقـد يـدخل إلى الفـرن عـدّة مـرات ليتصلب تماماً .

وقد عُرفت صناعة الفخّار في الألفية الرابعة قبل الميلاد في بلاد الرافدين، وأكّدت البعثات الأثرية أن سكّان (تل حلف) شمالي بلاد الشام كانوا يعرفون التحكم بقوّة نار الأفران.

ترجمة - Syrie Mémoire et civilisation

وكانت الحضارات القديمة تستعمل (الفخار المزجّج)، وعرف الفخار وصناعة الأفران في ممالك «ماري» و«إيبلا» ومملكة «محاض» وأيّام الفراعنة.

* * *

الجصّ ← الكلس

عنصر كيماوي رمزه Ca (*)

كل عام يكشف نساء بلاد الشام عن أذرعتهن القوية ، فرويّات هنّ - ويخلطن الجص ← الكلس لدهن المنازل باللون الجصّي الأبيض ، والمعروف أن **الجصّ مادة عازلة حرارياً** ، وبهذه الطريقة تحتفظ **البيوت في الجبال الجرداء برطوبتها في فصل الصيف .**

ومن عادة المرأة الجبلية في المناطق والجرود القاسية أن (تكلّس) سطح منزلها كل عام، وجدرانه ليحتفظ برونقه وبرودته .



(*) فلّز ترابي قلوي

م : وللجص مزية أخرى في الأرياف، فتراكم الجص الذي يعتبر مـادة واقية فوق السطح يقي من الانهيارات في الأسطح أيّام الثلوج الباردة .

كل هذه العمليات مؤسسة على نظرية (صدمة التبادل الحراري والنقلة النوعية) وهي نظرية اكتشفها الإنسان الآرامي منذ آلاف السنين، هو وغيره دون علم بأسس النظريات الحديثة المدوّنة .

* * *

أقنية التبريد

تبريد الفاكهة في الينابيع

تحدثنا سابقاً في بحث «الينابيع» عن الينابيع المثلجة في بلاد الشام، ينابيع ينفلق فيها البطيخ الأخضر لاختلاف الحرارة بين جوف البطيخة وبرودة ماء الينابيع. وسنعاود البحث في هذا الحديث عن دمشق وبلاد الشام القائمة قرب ضفاف الأنهار.

* * *

أقنية تبريد في دُمّر

تقع منطقة دُمّر على بعد عشرة كيلو مترات من مدينة دمشق باتجاه الغرب المحاذي لتفرعات الأنهار السبعة التي كانت تَرْوي المدينة وتسقيها.

وأثناء إصلاح أحد المتنزهات في دُمّر، وكانت تُعتبر مصيفاً لكثرة مائها وغياضها وشلالاتها، أثناء تلك الإصلاحات اكتُشفت شبكة مائية لافتة للنظر، من الممكن عودتها إلى العصر الروماني أو الأمويّ، لأحد الحمامات التي كانت مقامة فوق الأقنية التي تأخذ من الماء البارد لنهر ثورى كانت ممدّدة تحت أرضية جزء من الحمام. ولا شك أن نهاياتها كانت (لتبريد الأجساد الحارّة وترطيبها قبل مغادرة الحمّام).

هذه الأقنية وأمثالها تُشاهد بكثرة في الحمّامات القديمة لمدن بلاد الشام حيث تكون الاستراحة بعد الاستحمام بالماء الحار في صالة تُدعى (البرّاني) يشربُ فيها الشاي وتثور نوافير (الفسقيات) وتشع البرودة من الرخام المرصوف، ومن (حجار البناء البازلتية) التي تحتفظ بالبرودة أو بالحرارة .
ومن الممكن أن تكون تلك الأقنية شديدة القِدَم قد استخدمت فيما بعد بهذا النظم المعماري الفريد من نوعه في حمامات بلاد الشام .

* * *

أقنية جرّ المياه من «الهرمل» إلى تدمر أيام الملكة «زنوبيا» (*)

حكمت «زنوبيا» أو «الزبّاء» «تدمر» (٢٤٠ – ٢٧٤ ق م) وهي التي ثارت على الرومان . زوجها (أذينة) وولدها (وهَب اللّات) الذي حكمت باسمه، ثم حكمت كليّاً، وحكمت بعض بلاد الشام والجزيرة العليا .
واسمها الحقيقي (بتْ زَبّاي) .

ولزنوبيا الكثير من المآثر والانتصارات، لكن ما يهمنا الآن (**العنصر المائي**) الذي اهتمت به زنوبيا لإيصال أقنية الماء إلى تدمر، وذلك بإنشاء شبكات مائية عديدة بعضها موجود حتى اليوم .

وأهم هذه الشبكات المائية شبكة جرّ مياه نبع الهرمل إلى تدمر . وهو النبع الذي ينبع منه نهر «**العاصي**» في سورية . والنبع حالياً في لبنان يُعدّ

(*) أسماء الينابيع من الإنترنت .

(موغير) أحد منابع العاصي. وفي مدينة (الهرمل) التي تقع في سهل البقاع عدة ينابيع : (نبع رأس بعلبك) (نبع بديتا) (نبع الريس) (نبع الأحد عشرية) (نبع النزية) (نبع الهوّة) (نبع عير أم شرف) (نبع رعيان) ... و (عين فليكة) (عين الزرقا) (اللبوة) (عين أم شرق).

وجرّت (نوبيا) الماء القراح البارد ليساعد تدمر وسكانها ومعابدها، للشرب منع العطش في فصل الصيف الحار، بالاستقاء من ماء الأقنية .

وكانت القناة الأولى ممتدة من جانب جسر العاصي الحالي، والثانية تمتد من نبع (اللبوة) تلتقي القناتان ضمن الأراضي (السورية اليوم).

ويعود تاريخ حفر القناتين إلى (٢٠) سنة ق م أيام حكم اسكندر المقدوني. ويبلغ طول هذه القنوات (٩) كم (وهي على شكل آبار محفورة في الصخر موصولة بعضها ببعض.

عن : (موسى الأسمر) فيس بوك
ملتقى الكنوز الفنية السورية

*   *   *

نبــع المَــرا

يتناقل أهل الغوطة الشرقية القريبة من الجبال التي تفصلها عن (معرة صيدنايا والقلمون) أن شبكة مياه قديمة محفورة في الجبل تمتد مــن «عيـون فاسريا» وغيرها لتصل إلى سهل «القطيفة» ثــم يـضيع أثرهـا دون الاهـتمام باكتشافه «..

ويقول أهل المنطقة: إن هذه الشبكة (أو آثارها) قادمة من نبع يُدعى (نبع المَرا) أي المرأة. فلعلها شبكة أخرى من شبكات زنوبيـا، لأنهـا تحمـل الـسمات ذاتها، عدا ما لحق بهذه الشبكة من تخريب المقالع الحجرية هناك .

*   *   *

بلاد الشام الداخلية

المناطق الخضراء

بلاد الشام

عادة يكون الإقليم مقبولاً أيّام الصيف، وتكون الليالي الصيفية رائقة الهواء، **فضلاً عن عذوبة المياه وبرودة الينابيع** . فالطبيعة تقوم بواجبها الإلهي في فترات الحرّ بوساطة **الآلاف المؤلفة من الأشجار التي تشيع الظل والرطوبة والنداوة** بحيث كانت أيام الصيف الممتد تستمر معها النباتات والأعشاب التي تغطّي الأرض .

لو لا تلك الهجمات الحموية التي تصيب البلاد ولا ترحم . هجمات متلاحقة من الحرّ كان يَعزوها أهل البلاد إلى القوى الطبيعية التي تساعد على إنضاج الفاكهة .

* *

أمّا أهل دمشق ومحافظتها فكانوا يطلقون على أولى موجات الحرّ (طبّاخ المشمش) التي تتقدم بعد فترة الربيع المائس وينضج أَثَرها المشمش في شهر حزيران ثم تتالى تسميات الموجات مطرة (**التوت الدافئة**) ثم (**طبّاخ الكرز**) و(**طبّاخ العنب**) ثم (**طبّاخ البطيخ**) ثم (**التين**) ..الخ .

و(طبّاخ إثر طبّاخ تمضي) أربعينية الصيف والبعض من خمسينيته).. ليبقى الناس في شغل دائم وبخاصة أيّام حصاد القمح في البساتين والسهول الشاسعة .

* *

وعلاج الحرّ الأول كما أسلفنا هو **الماء** وقد كان الماء موجوداً بغزارة، والسواقي كانت متشعبة في البيوت والحدائق والبساتين والجبال .

المناطـق الخضـراء

تحمي المناطق الخضراء المؤسسة مـن الأشـجار والغابـات والنباتـات الطبيعية والمزروعة، سائر بلاد الشام المُقَرّبة إلى حدّ ما من المتوسط، وتـزداد الرطوبة كلّما اشتد التصاعد الجغرافي نحو البحر .

والمعروف أن نـسبة الارتفـاع الحـراري تزيـد في المـدن والأريـاف في المناطق التي تقلّ أو تندر فيها المناطق الخضراء والبساتين .



وغالباً ما كانت المدن تنشأ قرب الأنهار أو المناطق المشجّرة وقد كانت المساحة الخضراء واسعة داخل البيوت . **(يعرف عن مدينة دمشق خاصة أن المساحة الخضراء كانت تشكّل ٧٠ - ٨٠ ٪ من مساحة المدينة).**

عن كتاب : دمشق . تطور وبنيان مدينة مشرقية إسلامية

* *

وكان نظام الباحات الداخلية للمنازل، ونظام الحارات والبيوت ووجود المشربيّات واضحاً في المدن الشامية، وفي أبنية المغرب العربي، واليَمَن وحضرموت، ومصر، والمغرب الأندلسي . ويبدو النظام المعماري متكرراً في المدن الكبرى الداخلية في سورية خاصة كما في أبنية دمشق وحمص وحماة وحلب . وبقيت هذه النمطية في البناء حتى أوائل القرن العشرين .

* * *

من مُتَنَزَّهات بلاد الشام

من مُتَنَزَّهات (*) بلاد الشام

عين المريسة

بين أشجار زيتون لا جدال بينها تسير مواكب المتنزهين ـ وخلال روائح العشب البري ـ لا هو حبق ولا ريحان ولا صعتر ـ تسير مواكب المتنزهين، وبين أرغفة الزيت والصعتر المخبوزة على صاج الحزن والفرح تسير مواكب المُتَنَزِّهين حتى تتفرع الطريق قريباً من «صافيتا» «ذات البرج الرزين».

تتفرع يساراً فإذا نبعه ماء مُتَنَزّه، والمُتنزّه غريب الأطوار، لأنه **مُتنزّه داخل الماء** يتنزّه فيه الناس هروباً من حرّ الصيف.

حفاة كانوا، وأرجلهم داخل الماء ـ وكراسيَ من الخشب يجلس عليها أطفال يخبطون خط سير السمك ..

وطاولات موضوعة داخل بحيرة الماء القليل العميق.

تقهقه أشجار الزيتون، ويضحك أهل الصيف الجميل، فداخل الماء يبتردون.

(*) لغوياً يجوز استعمال «المنتزهات» و «المتنزهات» والثانية أفضل.

ينابيع ومنتزهات الكفرون

هي كفارين سبع .ظلال وأنهار، ومواكب تمشي مع الماء داخل الماء تحت ظل أشجار الدلب .تشمّ العصافير والهررة روائح الشِواء .فالناس يتنزّهون والزيتون يعصر زيتاً والحرّ ابتعد بعيداً .بعيداً .

* *

منتزه أبو زاد في مصيف بلودان ٥٦ كم عن دمشق .

منتزه عين بقين «القريب من مدينة الزبداني ٥٠ كم عن دمشق .

منتزه القروصة في القنيطرة وتسمّى المنطقة أرض الينابيع والمنتزهات، وتستنشق فيه رائحة النعناع البرّي باستمرار .

منتزه الشرين قرب بلودان .

منتزه عرنة يقع عند سفح جبل الشيخ .

منتزه عين منين في القلمون قريباً من دمشق .

منتزهات عين الخضراء وعين الفيجة قرب دمشق .

منتزهات وادي مار الياس ودير يونان قرب بلودان .

منتزه حلتا أو كفر شوبا في قضاء حاصبيا .

منتزه عين زحلتا في البقاع .

منتزه البردوني في زحلة البقاع .

منتزهات حنجور وتقوم عند نبع الطيب الشلاهمة ساقية عين نجم الشحطة .

منتزه بحيرة قطينة قرب حمص .

-منتزه «جلجايا «قرب «نبع السلعة «.

-منتزه «نبع راس العين «في محافظة الحسكة (معدني).

-منتزهات (عين ماحص (في المنطقة ٢٧ عين مـاء تتخللهـا المُنتزهـات ومنتزه «إهدن «و «نبع الجوعيت «ونبع «النواحير «.

-منتزه «نبع الصفا « لجبنان .

-«عين حلاقيم « [مصياف [وهي ذات منتزهات وينابيع غزيرة قريبة من طرطوس .

-متنزه «الميماس «القائم عند شط نهر العاصي في حمص .

هذا بعض المتنزّهات، وغير ذلك كثير .

*   *   *

تلاقي الحِرَف في حارات وأسواق المُدُن الشرقية قديماً

طُرق تلافي الحرّ في الحارات والأسواق

الحارات والأزقة

إذا استثنينا بعض الشوارع الرئيسة التي تبدأ من أبواب المدن، وتكون مستقيمة، فإن حارات وأزقة تتفرع من طرفي الطرق الرئيسة لا تتمتع بالاستقامة والامتداد . وتكون هذه الحارات ضيّقة متعرجة ذات اتجاهات متعددة . بل أن بعض الحارات الدمشقية والحلبية وحارات حمص وحماة ومدن بلاد الشام تكون شديدة الضيق حتى تكاد لا تتسع لشخصين .

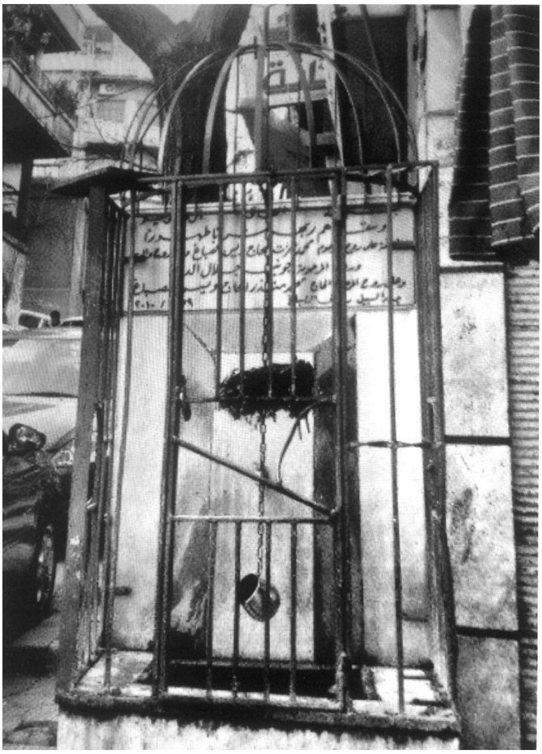
هذه **التضيقات تحجب التأثيرات الجويّة** التي تؤثر صيفاً وشتاءً على شرقي المتوسط . فهي توفر **للمارّين تلافياً ممتازاً للحرّ** متزامناً **مع طريقة التواء الحارة** التي تكون شمسها واضحة في مكان ما، ولكنها لا تتسلط على الانعطافات المتعامدة أو شبه الدائرية، بحيث يختفي نور الشمس المباشر **فيستروح المار بوجود ظلّ حقيقي رطب ومنعش .**

وتغذي الحارات الضيقة ظلال الأشجار المزروعة في المنازل التي تكون **قريبة من سور المنزل** في بعض الأحيان، ومزروعة أحياناً في أحواض شديدة الصغر خارج الأسوار المنزلية . ومن الطبيعي أن يحرك نسيم الصيف أوراق الشجر مما **يضفي** الرطوبة داخل المنازل وخارجها .

سُبُل الماء

عندما يُبنى «السبيل» يراد منه الثواب ببعده الديني؛ لأن المقصود منه إجراء صدقة جارية «يدعو الإسلام القادرين عليها، والقصد الإنساني وهو توفير **المياه الشريبة الباردة للمارّين والعطاش والغرباء** «والسبيل مكان فيه ماء يمكن جريانه باستمرار، أو يُفتح صنبوره عند الحاجة. وغالباً ما يكون السبيل «مبنياً عند مداخل الجوامع، أو في الحارات والأمكنة العامّة ..

وكانت «السُبُل» تُبنى في الفجوات الحجرية المحفورة والمرصوفة بإتقان، يعلق على صنابيرها طاسات للشرب. وهذه الطاسات المعدنية تكون مثبّتة بسلسلة منعاً لأيدي العابثين .



سبيل الماء

وماء **السُبُل** «يؤخذ من سلسلة **الأقنية المائية الموزعة تحت الأرض** بنظام مدروس . وقد كانت الأقنية موجودة في « مدينة دمشق » بخاصّة منذ العهد الروماني .

وبعد الارتواء من الماء، وقتل العطش، يقرأ الشارب الفاتحة ويهديها إلى من أقام السبيل الذي ارتوى منه .

وقديماً **كانت السُبُل جارية الماء باستمرار ممّا يسبب تغيّر الماء وبرودته** الدائمة .

ونظام السُبُل مدروس . والماء فيها مأخوذ من مصدر مائي معين يأخذ حصته من حصة أهل وأقرباء منزلِ مؤسسِ السبيل . أمّا سُبُل المساجد فتأخذ ماءها من الماء الدفّاق في تلك المساجد .

* * *

الفيجة

بعد تمديد شبكة مياه « عين الفيجة » إلى دمشق وبيوتها وُجِدَ نوع من السُبُل الحكومية، كانت بشكل أنبوب أسطواني من الحديد المصبوب ارتفاعه حوالي متر أو أكثر . وداخل هذه القناة الأسطوانية التي قد يكون قطرها الدائري ٣٥ سم تقريباً، كان ماء الفيجة النقي يصل **ليوفر للشاربين والمحرورين مصدراً مائياً ممتازاً يُذهب الحرّ** ويروى عابري السبيل . وقد تكون بعض أجهزة الفيجة موجودة حتى اليوم .

* * *

الطالع

منذ مئات السنين تتميّز «دمشق القديمة» بالتوفير المائي المنتظم والمُنظّم لكل حي. وكان ذلك يسمى «الطالع». فلكل حارة طالعها الذي يمدّ بالماء بأقنية مستمرة الجريان لكل بيت بالعدل. ولكل حيّ أكثر من طالع حسب المستوى والكثافة السكانية، حتى إن إحدى الحارات في «حي العمارة» القريب من شرقي الجامع الأموي، وتقع شمالي الجامع. تدعى «حارة السبع طوالع» أي أنه فيها طوالع سبعة توزع الماء بالعدل بين البيوت العامرة القديمة.

وفي حي «القنوات» الذي يستقي من نهر بانياس كانت الطوالع توفّر الماء والري للحدائق الواسعة الموجودة داخل البيوت في باحاتها، وخارجها في حدائقها.

ويقوم «القائم على كل طالع» بسدّ الماء عن قناة ليفتحها على أخرى «أيام القحط الصيفي» أو يشرف أيام غزارة الماء على الأقنية التي توزّع على البيوت حتى يأخذ كل منزل حصته من الماء الذي يتمثل داخل المنزل في ساقية جارية يؤخذ منها الماء لقضاء الحاجات المنزلية، وتمدد منها أقنية نحو البحرات والفسقيات «الحمامات» و«دور الخلاء» التي كان يسيل فيها الماء باستمرار.

هذا **التوزع المائي الرائع يوفر تبريد باحة الدار والقاعات كما يوفّر السقاية** للورود الكثيرة والدوالي وأشجار الحمضيات وعرائش الليلك والياسمين.

السـقّاء

كانت كثير من الأزقة والحواري، بخاصة الحارات المتقاربة أو المُـشادة في كثير من الأحياء الجبلية أو الملاصقة للمـدن الكـبرى كـما ذكرنـا ذات رصـف سيء، بل كان بعضها متربـاً غـير مرصـوف، ممّـا كـان يثـير عجـاج الغبـار الصيفي .

ولتمهيد الأتربة بين الحارات وُجدت مهنة أملتهـا الظـروف المناخيـة والمعيشية للمدن القديمة، هي مهنة « السقّاء » والسقّاء رجل يطوف في كـلّ الأحياء والزواريب، يحمل قربة نظيفة يمسكها من عُنقها، وتكون القربة في البداية مليئة بالماء .

و « القربة » كما ذكرت سابقاً مصنوعة من كامل جلـد الخـراف . فبعـد الذبح يؤخذ هذا الجلد ليفصل الرأس عنه، ثم تُجرى لـه عمليـة (السمط) أي نزع الشعر والصوف عنه، ثم يُدبغ ويعالج وتخاط منافذ الأطراف لتبقى الرقبة هي المفتوحة . بعد جفاف الجلد تماماً يصبح (قربة) أو (ظرفاً).

يبدأ **السقّاء برش الماء رذاذاً** من فم القربة التي **يحركها في كلّ اتجاهات الأزقة لتمهيد الـتراب**، دون تحوّلـه إلى طـين، **ولإضـفاء جـو مـن الرطوبـة المعقولة** التي تبرّد الجوّ العام .

وسيلة بدائية لا شك، لكنّها تمهد اختراعاً تمهيدياً للتخلص من الغبار ولإذابة الحر .

* *

ولقد كانت السيدات .. يمشين كالأطياف .. ينتعلن أخفاف الطريق .. ويمسكن تحت آباطهن أحذيتهن الجديدة التي يدخلن بها بيوت الناس بعد أن يبدلن أخفاف الطريق .. التي كنّ يتجولنَّ بها في الأسواق المسقوفة والمرصوفة بالأحجار، أو بين الحارات غير المسقوفة .

ومهنة السقّاء على ما يبدو **تكون للرّش والترطيب**، وقد يحمل **السقّاء ماءً نظيفاً** للشرب في المدن البعيدة ذات الجفاف الشديد .. وهذه المهنة منتشرة في أغلب البلاد العربية المطلّة على المتوسط، كما كانت منتشرة في إيران وباكستان وأفغانستان .

* *

أفغانستان

[حدائق بابُر «... نداء السقايين » (وهم يحملون قِرَبُهُم المصنوعة من جلد الماعز ..].

خالد حسيني

ألف شمس ساطعة – ص ٤٩٩

* * *

السيباط - الساباط

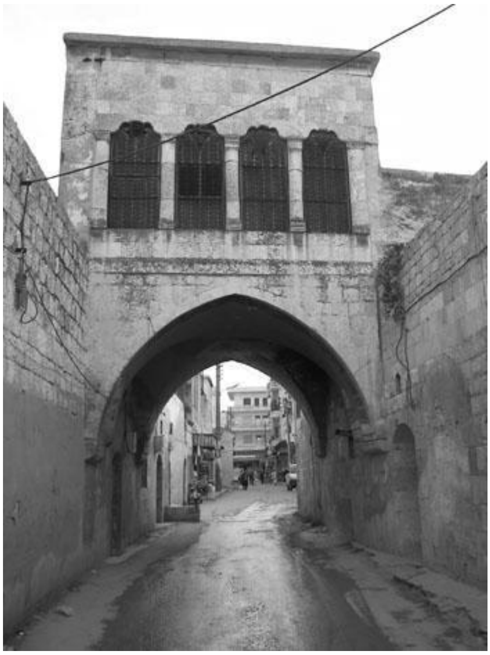
المُشاهَد إلى الوقت الحاضر أن أزقة المدن الشرقية المتوسطية عامّة تحمل بين مسافة وأخرى أقواساً مسقوفة من الممكن أن تكون أرضية لممر يجمع بين بيتين أو يصل بين منزلين فتتطاول غرف المنزل لتُبنى فوقه لكن تبقى القنطرة الحجرية ممراً عاماً وقد يكون السيباط مبنياً داخل بناء كبير .

وربما كان عرض «السيباط» أو «الساباط» أربعة أمتار أو أكثر . ويكون «الساباط» (وهي الكلمة الصحيحة ، على ارتفاع معقول لممر القوافل أو العربات .

* *

وقد يكون «الساباط» مسقوفاً كما أسلفنا، لكنّه يصل بين الحارات المبنية منازلها وفقاً للانحدارات الجبلية - والممر هذا يكون مستوياً (وهو من فعل سبط) وفي طرفه الآخر ينتهي بدرجات يُصعد منها أو ينزل إلى المستويات الأرضية التي بُنيت عليها البيوت في الأحياء الأقل عُلوّاً أو أكثر علواً .

وتكثر هذه القناطر (الساباطات) في صالحية جبل دمشق، ومنها حتى اليوم ساباط يصل حي (القنوات البرّاني) بـ (حي القنوات الجوّاني) ويدعى بـ (القنطرة) والماء يمرّ قريباً من (فوق القنطرة) .



السيباط

وقد تكون هذه الأبنية مجالاً للتغزل بين العاشقين أثناء المرور السريع حسب ما ذكرت الأغنية الدمشقية الشهيرة :

تحت القناطر حبيبـي ناطـر

* *

وتنسيقات «الساباط» مع آخر في البناء تكون مختلفة أنـواعِ (العقـود) الحجَرية التي تكون دائرية أو مدبّبة .

* *

وقد يكون «السيباط» أو «الساباط» ممتداً امتداداً يشكل ثلاثة اتجاهات تحته تكون مسقوفة بين البيوت ومفتوحة من أسفل أقواسها على حارات متعددة .

أهمية «السباط» في تجنّب الحر والتخفف منه

بينما تتجول النساء بين بيت وبيت وهنَّ في ثيابهن العادية . يكون بطن «السباط» مجالاً لالتقاء الرجال العاملين أو رجال الحيّ من التجّار عند اشتداد حرّ الشمس؛ **فتكون أمكنة للاجتماع والترويح عن النفس من شدّة الحر، لوجود تيّار هوائي دائم بين مداخل «السباط» وإن كثافة الهواء تكون في الخارج خفيفة عند اشتداد الحرّ**، فيلجأ العابرون إلى السباط يروحون عن أنفسهم .

* * *

«السباط» في «القطيف»[*] في المملكة العربية السعودية

يكثر بناء «السباط» في القطيف ويكون منتجعاً في القرى والمدن أيّام الصيف ويغلب على أهل القرى اللجوء إلى «السباط» لأهمية العودة بعد الاستراحة إلى أعمالهم، فيكون «**السباط» عامل تبريد لقيلولة صيفية أو لاستراحة مؤقتة** بين رجال الحي الذين يلتقون تحته .

عن العم أبو سلطان «الإنترنت»

* * *

(*) نستنتج من الكلام التالي أن «السيباط» أو «السباط» كان موجوداً في أغلب المدن الشرقية الكبرى .

ذُكر في المعاجم أن (إيوان كسرى)* كان يقوم على «ساباط» وكان الإيوان في (المدائن).

* * *

ويكثر بناء «الساباط» في المدن الداخلية كحلب وحماة والقدس وحمص ومدن الجزيرة العربية .

* * *

البناء الحائطي الحجري المزدوج

في الصيف المتوسطي .. كثيراً ما تُشاهد في الأبنية جدران ثخينة مبنية من الحجر المزدوج .. مما يساعد على متانة البناء .. وجعل داخل المنزل منعشاً (كما يُقال بالراوند) .. وذلك في الصيف .. أما في الشتاء فإن الجدران السميكة تكوّن عازلاً هاماً ضد انتقال درجة حرارة الجو الخارجي المنخفضة .

وبذلك يكون المنزل مستجيباً للدفء شتاءً عند إيقاد نارٍ في المنزل .

وهذا النمط في البناء نراه بكثرة في مصايف وقرى الاصطياف السورية واللبنانية .

* * *

(*) يبدو في آثار مدائن كسرى وتقع اليوم في العراق وتدعى «سلمان باك» ما يدل على وجود ما يُسمّى بـ «الساباط» وهي أقواس كبيرة من الممكن أنها كانت تصل بين غرف «المدائن» وقد بني فوقها الإيوان .. وقد اندثر اليوم .

الأسواق والخانات

الأســواق والخانـات

ما من تجمّع سكني إلاّ وفيه أسواق على اختلاف ما يباع فيهـا . وكلّـما توسعت المدينة بحكم الموقع الجغرافي أو الاقتـصادي أو الـسياسي ازدادت الكثافة السكانيّة فيها، وتوسعت الأسواق، فتكون موسمية أحياناً، وتكـون متخصصة بنوع معين في حين آخر، أو تكون على خط سير القوافل التجارية كما هو الحال في المدن الواقعة على خط سير "طريق الحرير" بوجهتيه البرية أو البحرية . وإذا استقرت مدينة استقرت معها أسواقها .

وفي "السوق" يكثر الباعة والمشترون صيفاً وشتاءً . لذا تتوصل الفطنة البشرية إلى حلول عمرانية تجلب زوّار السوق ولا تبعدهم عنها ..

ففي الشرق والشرق المتوسطي خاصة كان للأسواق أمكنتها ونظمها المعمارية الخاصة لتجنب الحرّ والبرد . **والحَرّ هو ما يهمنا في بحثنا، بـل كيفيـة التخلّص من الحرّ** الصيفي **أثناء التجوّل في الأسواق** الشرقية .

* * *

وتمتاز الأسواق الشرقية بأنها متقاربـة الـدكاكين صـغيرتها . وتمتـد في الأسواق الكبرى على صفٍ واحدٍ من كلا الجانبين .

وأشهر الأسواق الغارقة في القدم، سوق مدينة حلب فهـي موجـودة منذ القرن الرابع ما قبل الميلاد . وكانت تمتد من القلعة حتى بـاب أنطاكيـة . وكانت مرصوفة بالحجر .

أسواق حلب

كانت أسواق حلب القديمة ذات العقود المبنية من الحجر والأقواس المتعددة الحجرية متشعبة، لكل بضاعة سوقها . وكانت أسواق حلب حتى بدايات القرن الحادي والعشرين الميلادي تقيس نحو ٢٠ كم . وكل هذه الأسواق كانت مرصوفة بالحجر ومسقوفة بالحديد والتوتياء بشكل هرمي أخّاذ، **يدخل إليها المحرور فيبترد بين جدرانها الحجرية وعقودها** الحجرية الجميلة الباردة التي تشكّل أحياناً قباباً حجرية للسوق .

والمأمول أن ترقّم تلك الأسواق في أقرب وقت يمكن .

* *

الطريق المستقيم

وتتزامن سوق حلب مع **الطريق المستقيم** أهم وأطول شوارع دمشق منذ العهد الروماني وطوله ١٥٧٠م، ويعتبر أقدم شارع في العالم القديم . وفيه أهم خانات دمشق، ومنها : الدكة - خان جقمق - خان الزيت - خان الصنوبر - خان الرز .. وهي مستحدثة أيام المماليك والعثمانيين .

وبفعل الغزوات المغولية التترية المتتالية والزلازل والحرائق انخفض مستوى الشارع المستقيم الذي كان يمتد من باب شرقي إلى باب الجابية، وتغير اتجاهه الغربي نحو الشمال، كما هو حالياً .

وهناك اختلاف بين أن يكون يونانياً أو رومانياً أقيم على أنقاض الأول أو أقدم من ذلك .

وسوق الحميدية التي أكدّ الباحثون أنها أجمل أسواق الشرق انتعشت وتسللت الرطوبة إليها من سقفها الذي بني على مرحلتين : ففي عهد الوالي

«حسين ناظم باشا» كانت المرحلة الثانية من سقف القسم الثاني بالحديد والتوتياء بشكل نصف دائري يشبه القباب .) **كانت عملية بناء السقف في مرحلتها الأولى أيام السلطان عبد الحميد الأول ١٧٨٠م . أما المرحلة الثانية فتمت عام ١٨٨٤م أيام السلطان عبد الحميد الثاني . من هنا سُمّيت بسوق الحميدية ([.**

د . قتيبة الشهابي (*)
أسواق دمشق القديمة

وتعتبر سوق الحميدية مدينة صناعية تجارية كبرى .

هذه «السوق» تتشعب فيها أسواق وأسواق كلها مرصوفة بالحجر البازلتي مسقوفة بالحديد والتوتياء .

والناظر إلى سقف سوق «الحميدية» يشاهد فتحات أو ثُغُراً صغيرة على طول الممر المسقوف ردّها بعضهم إلى غرض دخول النور، وعزاها آخرون إلى زخّات رصاص الطائرات إبان الثورة السورية . لكنّها بأية حالٍ تشكل اليوم **نجوماً مضيئة في أيام الحرّ الخانقة** . فلا يدخل الناس هذه السوق إلّا ويشعرون بالجمال والرطوبة والسكينة والجمال .

* * *

(*) عدد د . قتيبة الشهابي في كتابه «أسواق دمشق التاريخية ومشيداتها» خمساً وخمسين سوقاً ، أغلبها يتفرع من سوق الحميدية جنوباً نحو سوق مدحت باشا أو شمالاً داخل وخارج السور .



تجلّيات مع سوق الحميدية بدمشق

من أجمل وأبهج الأسواق الشرقية التي ما تـزال محافظـة عـلى هويتهـا ورونقها وألوانها ـ وهي من أجلّ الأسواق ظلالاً ورطوبة وانتعاشـاً ـ مـا أن يصل إليها الواحد من الناس حتى يشاهد الشرق كلّه، شرق متمثل بـأكوام الملابس وغنى السجاجيد والبسط وقطع الأقمشة الملونـة وأنـواع الملابـس الخارجية والداخلية المبهرجة .

ماذا تريد أيها السائح؟ أغباني؟ بروكـار؟ صـايات؟ عبـاءات؟ قطـع منزلية مجلوبة من الصين قديماً؟ عصافير ترقص بين قـدميك؟ طاقـات نـور تنبعث من السقف المعدني؟ أبواق؟ مناداة؟ كلمات من أهلاً وسهلاً ترطـب

روحك؟ .. **عصير ليمون؟ برتقال؟ تمر هندي؟ »ندرمة «بالفستق والقشدة مثلجة القوام؟** .. ماذا تريد؟ مسابح؟ نراجيل؟ أساطير؟ **ممرات** ضيّقة ينتظرك فيها بشاشة أهل الشام؟ .. أم هو بائع »فلافل« في زاوية الطريق المتجهة نحو البيمارستان النوري؟ .. ماذا تريد؟ أحضارة تريد؟ ها هي موجودة قرب عينيك .. آثار؟ ها هي الأعمدة الرومانية تقودك عبر »**سوق المسكية**« نحو الجامع الأموي الكبير نحو البوابة التاريخية وتجمعات حمامٍ ساكن يتنقل بين الناس .

وأنتِ .. ماذا تريدين؟ انتهي من ارتشاف كأس العصير المبرّد المنعش في الصيف، ثم ادخلي »سوق العرائس« »سوق العجائب، سوق كل شيء« **!!**

إن سوق »**الحميدية**« هو رمز دمشق، رمز بلاد كثيرة تجمعت فيها، واستقت من سُبُل جوامعها، وابتردت فوق رخام مسجدها، وتوضأت في ينابيع نوافيرها .

ماذا تريدين يا صبية؟ قطعة مثلّجات من محل »**بكداش**« تنعشك .. لتذهبي من ثم إلى سوق »فضلي خانم« .. يا لبكائك السعيد .. زيّني إذاً بالخرز الأزرق الظليل ظلال السوق .. سوق كل شيء .. أتدركين ما أعني بسوق كلّ شيء؟ **!!**

لينسكب الظل على السوق .. **لتعم الرطوبة وتتغلغل بين أفراد المشاة .. الله !! لما أجملك أيتها السوق السعيدة الرطبة !**

* * *

تكثر الأسواق في مدينـة «حماة» السورية، وأصـل اسـمها «إيماتـا» أسواق لا مجال لذكرها، أهمها «سوق الطويل» والحضاري في السوق هـذه أنه كان للمكفوفين باب خاص يدخل منه المكفوفـون إلى الـسوق، ويـدعى «باب العميان» كما تعمد العرائس إلى دخول السوق المخصصة مـن «باب العرائس» كيلا يزعج الصبايا ناظر أو متدخل .

* * *

مبدأ تغطية الأسواق

كانت الأسواق في البداية غير مسقوفة ثم سـقفت بعـض الأسـواق **تلافياً للحر وتلافياً لفساد البضاعة** وكانت الأسواق عامة، ثـم تخصـصت كل سوق ببضاعتها، إلّا ما هو الحال عليه في «**سوق الحميدية**» التي تُعتبر كما ذكر المؤرخون والزائرون من **أبهج أسواق العالم** .

ثم سعى التقدم العمراني في العهد العثماني لسقف الأسـواق بالمعـدن من حديد وتوتياء لتجنب الحرائق **وللتخلص من الحرّ اللاهب** فبعد أسواق «القسطنطينية» بدأت أسواق بلاد الـشام **ومـصر** ودول الـشرق الإسـلامي ابتداءً من **إيران وباكستان وأفغانستان** حتى أواسط آسية تسقف بالمعدن .

وتُعتبر سوق «**خـان الخلـيلي**» في مـصر بتفرعاتهـا الجميلـة مـن أروع الأسواق التي يؤمها السياح في العالم أجمع .

* * *

كانت أشهر الأسواق المتنقلة منذ الجاهلية سوق **«عكاظ»** وزيادة على أهميتها الاقتصادية والثقافية، كان تنقلها حسب **التقلبات المناخية** في الجزيرة العربية جمعاء، **وذلك سعياً للبرودة والترطيب والانتعاش .**

*   *

واشتهرت في قرى بلاد الشام والقرى القديمة من البادية أسواق أسبوعية تنصب منذ الفجر حتى المغرب في الأماكن المنعشة المنبسطة طلباً للرطوبة واتقاءً للعوامل الجويّة وأهمها **الحرّ .**

وقد استقرت بعض تلك الأسواق وسُقف قسم من **«سوق الجابية»** وسوق **«القاشاني»** وسوق **«باب السريجة»** وكلها مسقوفة مستقرة **[**كانت سقوفها تقي من الحرّ لأنها كانت في أطراف المدينة **].**

*   *

الخانات(*)

تتشعب الخانات من الأسواق الشرقية الكبرى . والخانات عُرفت منذ العهود الأيوبية والمملوكية بعد أن كانت قيسريات على أطراف المدن .

والجمالية الترطيبية لهذه الخانات، وكل خان منها متخصص ببيع بضاعة معيّنة، أنها كانت ذات **باحة داخلية مكشوفة**، فيها **بركة ماء دفّاقة**

(*) الخانات : جمع خان، وهو الحانوت، وقيل هو الذي للتجّار . والكلمة فارسية معربة .
لسان العرب المحيط لابن منظور

وتزرع في جنبات دكاكينها **أشجار الظل كالنارنج والبرتقال** وتكثر فيها **عرائش الياسمين** الذي **يتأثر من رذاذ الماء**، ويسبغ على مدينة دمشق بخاصة ذاك العبير الأخّاذ المنعش المُظلّ، والفاتح للرئات، فلا يشعر الناس بالحرّ الشديد، وتزيد الألفة بينهم .فالخانات تساعد على التقارب والتآلف للأُلّاف وللمبترّدين بالرذاذ والعبير .وغالباً ما يكون في كل خان مرابط للخيول تُربط فيها خيول التجار القادمين الذين ينامون في غرف من الخان مهيأة للمبيت .

وفي المساء، تغلق الدكاكين المحيطة بالساحة المتوسطة للخان . والدكاكين تكون مسقوفة ذات أقواس حجرية تغطيها القباب، وحول أسافل قببها منافذ للهواء والنور .

أما ساحات بعض الخانات فتكون مغطاة بالتوتياء المستندة على العقود الحجرية مع مراعاة وجود منافذ للنور والهواء .وبعد إغلاق الدكاكين، يُغلق الباب الخشبي الكبير .

وبعض هذه الخانات ذو طبقتين أو سقائف تؤمن استراحة ونوم القادمين .

*   *   *

عرائش «الخمِيسَة» في صيف دمشق

تملأ الحارات

أجمل ما في حارات دمشق الواسعة، سواء كانت فيها يُسمى داخل السور أو كانت «خارج السور» وجود ظلال الدوالي المتدلية من داخل أسوار الحدائق، ووجود عرائش (الْخميْسَة D ieaus S tris ts) وهو نبات متسلّق يمكنه التسلّق على جدار أملس . وفي كل ملامسة له لمادّة يرمي ممصّات تصبح جذوراً . أوراقه خماسية . وهو من المتسلقات البرية سريعة النمو متساقطة الأوراق، يعتمد عليه في تظليل الأماكن المشمسة والمداخل .

عن : أهم النباتات التزيينية المتسلقة في المنطقة

أرشيف : الزهور ونباتات الزينة

الإنترنت S tarmi es.com

إنها خُمَيْسة دمشق بأوراقها الخماسية الشديدة الاخضرار .

إنها خُمَيْسة دمشق التي تُظِلُّ حاراتها المكشوفة وأروقتها ..

هذه التي تُطِلّ من باب إلى آخر، تتلصّص من حائط إلى حائط .



الْخمْيسَة

تمدّ ظلالها الجميلة المتدلية والمتعلقة في الأسـواق والحـارات القديمـة تُرحّب بالقادمين إلى الباب الشرقي للجامع الأموي «باب النوفرة».

وتهب **الرطوبة مجاناً لكل جالس و مستظلّ تحتها من حرّ الصيف .**

وتهتز طرباً، لأنها تغنّي وما تغنّي .وترقص رقصاً إيقاعيـاً يـتجلّى مـع نسائم الصيف الساكنة ..

إنها خُمَيْسة دمشق التي تحمرّ أوراقها لهباً وحُباً في الخريف، وتتساقط أوراقها بَرْداً في الشتاء، لتعود ككل عرائش الشرق، تعود في الربيع تُشرق لتصبح عروس الحارات ورفيقة الظلال **وسعادة المحرورين** .



*   *   *

المُتَنَزّهات الدمشقية

المُتَنَزّهات الدمشقيّة

اشتهرت دمشق عبر التاريخ القريب والأبعد بِمُتَنَزَّهاتها الجميلة التي كان يلجأ إليها الناس أيّام الحرّ . كل أسرة تتخذ ركناً أو عرزالاً لتستقر طيلة النهار آخذةً معها مأكلها ومشاربها . وقد اتخذ أهل البلد لهذه النزهات اسم (السيران) . وهذا يدل على قرب أماكن النزهة أو ملاصقتها المدينة، ممّا يُسهّل عملية السير إليها .

وقد ذكر عبد الله البدري في كتابه أسماء المُتَنَزّهات الدمشقية وعددّها . لذا نجيء على ذكرها باختصار آملين من القرّاء الكرام الرجوع إلى كتاب البدري : نزهة الأنام في محاسن الشام .

* * *

مُتَنَزّه الجبهة

كان بستان الجبهة من أشهر مُتَنَزّهات دمشق قديماً والجبهة أرض مربعة قدر فدّانين كانت تقوم على جنب بردى . وذكر البدري أن بستان الجبهة كان زاخراً بأشجار الحور الميّاس، والصفصاف العاشق، والجوز الرزين، ونبات الريحان العابق .

وكان الناس يقيمون فيما بينهم **مجموعة من الحُصُر .**

والحصير : عرزال أرضي مقام على خشب أو على أعمدة من الخيـزران بشكل غرفة حيطانها وسقفها حصير، أمّا الأرض فمفروشة ببساط .

وكان كل **عرزال محاطاً بالجداول من جهاته الأربع .** وكانت كـل أسرة تجلس في عرزال بمعزل عـن أعـين الرقبـاء . وإذ يهتـز ورق الحـور تتجـدد الرطوبة فوق الجداول وتمتصّها الحُـصُر لتـضفي جـواً ملائـماً وطبيعيـاً مـن البرودة المنعشة داخل الحُصُر الممتدة في منتزه الجبهة القديم .

وبهذه الطريقة كان أهل **دمشق يتخلصون من الحرّ اللّاهب أيام العطل والمناسبات .**

***   *   ***

عرزال أوراق الشجر الجافّة

وكانت الطريقة نفسها تُستعمل في ترطيب الجو والاستمتاع بالنداوة، **باستبدال الحصير بمجموعة من الأغصان الجافة مع أوراقها مقـام الحـصير،** لتكون جدراناً وسقفاً للعرزال الذي يغلب أن يكون في الأرياف القريبة من مدن بلاد الشام ومنها ريف دمشق .

وغالباً ما كان مكان هذا العرزال بجوار ساقية فيسعدُ الحال ويطمـئن البال . وكانت هـذه " العرازيـل " حتـى منتـصف القـرن العـشرين تُقـام في مُتَنَـزّهات (دمّر) و (الربوة) و (دُمّسيا) القريبة من دمشق .



عرزال بين الأشجار

* * *

تخوت ربوة دمشق

ما زالت هذه "التخوت" حتى اليوم في القسم الأيمن من خانق الربوة، للمتّجه من دمشق ـ وهي مقامة فوق نهري "تورى" و"يزيد" الذي ضُمَّ ماؤه لنهر "تورى" فيما بعد لتوسع المدينة .

و"التخت" عبارة عن ركائز خشبية دقيقة النحافة مثبتة جانب النهر وفوقه على مسافة كبيرة، وتُقام فوق العُمُد صفائح ثخينة من الخشب تتحمل ثقل الجالسين فوقها، ثم تؤطر هذه السطوح القوية بما يدعى "الدرابزين" أو "الدرابزون" وهي حواجز خشبية لا تمنع النظر إلى المناظر الجميلة .

ويتوافد أهل الشام وكل زائر ليتمتع بالجلوس فوق الماء، تحف من حوله أشجار الجوز والزان، **فلا يشعر بِحَر المدينة اللافح في الصيف**(١).

* * *

الشادروان

كلمة مأخوذة عن الفارسية (شاذرْ وان) ثم التركية (شادر وان) ولعلها قادمة (من **شادر يغطّي تختاً مائياً**) والشادروان يكون شديد القرب من مجرى الشلاّلات الصغيرة أو يكون مقاماً على أرض فيها شلالان. وقد سُمي مكان عند انعطاف ربوة دمشق وقرية دمّر (بالشادروان) وفي المكان الكثير من الشلالات المائية الصغيرة المتلاحقة ويُعد الشادروان الشامي من أجل المتنزهات.

* * *

تغريدة

العرزال في الأرياف

هذا الشاعر الساحر هذا اللاهوتي المتجلّي بين البساتين

هو عرزال النواطير، نواطير الكروم، ونواطير القمح.

وهو الملجأ الريفي العالي الواقي من الذئاب وبنات آوى والأفاعي والعقارب. أوليس هو إذاً شرفة الرطوبة الليلية؟!

ومنزل الفلّاح القديم الذي يحرس أرضه صيفاً!

---

(١) وتُشاهد التخوت المائية بكثرة في مُتَنَزّه الميماس الواقع على نهر العاصي حين مروره من مدينة حمص، وفي المُتَنَزَّهات القريبة من مدينة (مصافيتا) في وادي النضارة في سورية.



العرزال في الأرياف

وهذه الخيمة النباتية العالية تُعدُّ مثالاً لتلاعب أكبر كمية من الهواء .

وتحت سقف العرزال القائم على أربعة عمد وأرضية من الخشب وجدران من الأغصان والفراغ يجلس الرجال، بعد أن يرفعوا السلّم الخشبي المُعدّ للصعود والنزول، معهم أرغفة خبز وإبريق شاي وبندقية صيد وعنقود عنب .

وما زال عرزال الريف يُقام لحراسة المنتوج الحقلي الزراعي أيّام الصيف بكل مواسم خيرها، خير المواسم ذرة ذات شباشيل (١) خير المواسم

---

(١) شواشي الذرة : الخيوط أو الأهداب البيضاء الليفية التي تظهر في رأس « الكوز » أو العرنوس – عند نضجه . والبعض يدعوها « حرير الذرة » أو شعيرات الذرة، أو شبشول الذرة (جمعه شباشيل) أو أهداب الذرة .

عناقيد تضطجع كرومها فوق الأرض .. خير المواسم سنابل قمح وحبـوب مختلفة أشكالها ..

* * *

المصطبـة

في بعض الأحيان كان يعمد إلى **توسيع كتف النهر** ليـشكّل مكانـاً تبنـى عليه مصطبة عريضةأرضيتها حجرية تُرَشّ بالماء النهري مباشرة، لتشكّل **مكاناً للابتراد وللتخلص من حرّ الصيف** . وتوضع على أرضـية المـصطبة أنـواع مـن **الحُصُر** ليتمتع الجالسون بالهواء النديّ الذي كان يمرّ فوق سطح الماء .

* * *

مُتَنَزَّه السهم

وهو متصل بـأرض الصالحية . وكان فيه دور وقصور وفاكهة وزهور ومياه تجري كالبحور .

البدري

ولعلّه كان مصيفاً لائقاً أو سكناً دائماً .

* * *

مُتَنَزّه اليَلَك أو اللَيْلَكْ

أوائل الخريف ينضج سفرجل الشام، ويسود الـصمت الغريـب بـين أشجاره . أمّا حين يزهر السفرجل فلأهل دمـشق بدعـة أخـرى . يتوافـدون

نحو المُتَنَـزّه، ويسيبون الماء من كل الأطراف حتى يمتلئ المكان بالماء مشكلاً بحيرة نهرية يسيل ماؤها ببطء. ثم ينتظرون المساء، فيُحضرون قشور البيض ويضعون فيها الشموع، ثم يطلقونها في الماء تمشي الهوينى يراعـات مـضيئة، ثم يلتفتون إلى الأشجار. يعلقون قشور النـارنج ليستنـشقوا عبـير زيوتهـا الفذّة مع هبوب الهواء، ثم يضربون الخيام في «بستان الحاجـب» يبـتردون ويتمتعون بالمنظر الفنيّ الفريد.

* * *

مُتَنَزّه البهنسية

قال البدري: هو روض يجمع بين الأشجار والفواكه والأزهـار، مـع عيون الماء، وتظهر منه إلى (مرجة جسر ابن شواس).

* * *

مُتَنَزّه النيربين

يعلو البهنسية المُتَنَـزّه الغـربي الكبـير ورئـة دمـشق اليـسرى (مُتَنَـزّه النيربين) ومنقطة النيربين أكثر المناطق اخضراراً، وكانت تمتـد مـن خـانق الربوة إلى الشرف الأعلى، ومشارف جبل قاسيون والصالحية.

ويقوم مقام النيربين اليوم (حديقة تشرين) وقد هُـذِّبت تهـذيباً. وقـد بني في مروجه اليانعة (حي المـالكي) و(حـي أبـو رمانـة) وكـان فيـه مـن البساتين والدوالي والثمار ما لا يمكن إدراكه.

ولا شك أن الهواء الغربي المنعش القادم من طرف (النيربين) كان مصدراً هاماً للنسيم الرائق العليل فيها، النسيم المرطّب والكاسر لحرّ الصيف الثقيل .

* * *

مُتَنَزّه ستّ الشام

سمي هذا المُتَنَزّه باسم (ست الشام) زمرد خاتون بنت نجم الدين أيوب زوجة الملك الناصر - وهو مرجة خضراء تجري فيها المياه العذبة . وكان هذا المُتَنَزّه مدعاة زيارات الصيف المتكررة أيام الأيوبيين والمماليك والأتراك من سائر أهل دمشق .

* * *

مرج الشيخ رسلان

كان يقوم بعد محلة القصاع على مشارف غوطة دمشق - وما زال مقام الشيخ رسلان (العارف بالله الشيخ أرسلان وهو دمشقي الأصل) قائماً حتى اليوم - وكان الخشخاش يزرع في المرج الكبير الذي يحتوي المَقَام - وكان المرج مكاناً للمتنزهين تجري فيه النواعير تستخرج الماء من بردى وفروعه .

وأجمل ما في الأمر أن المتنزهين كانوا يجلسون في الحرّ الصيفي اللاهب قريباً من النواعير، يتلذذون برذاذها الناعم الذي ينعش الروح والجسد، والكل يدرك أهمية (الرذاذ) في الترطيب دون أذى .

لكل شعب أساطيره، ولكل مدنية أسرارها .. فما بالنا بدمشق مدينة الأساطير والأسرار ..

قالوا: **بيت لهيا** مكان مقدّس سكنت فيه **حواء** !! وهكذا نسب أهل الشام حواء وجذبوها إلى جنانهم .

أما **آدم** عليه السلام فقيل: كان في (**بيت أبيات**) وهو روضة في دمشق .

لكن جمال الأسطورة يكمن فيما ذكره البدري .

قال: جاء هابيل بكبشٍ سمين من غنمه، فجعله على الصخرة فأخذته النار . وجاء قابيل بقمح غلّته، فوضعه على الصخرة فبقي على حاله .

فإذا شئنا تحليل الأسطورة أدركنا أن هذا (**الفحص المناخي**) جعل مناطق دمشق وريفها مزارعَ مناسبة لزراعة القمح، في حين كانت جبالها شديدة الحرارة صيفاً حتى تموت المواشي .

واستنتاجاً ورجوعاً إلى بعض ما قال المؤرخون نشاهد «بيت لهيا» مُتَنَزّهاً عالياً كان قبل إنشاء حي الصالحية ..

ولا شك أن الاسم وثني يعني مقام الإلهة أو الآلهة !!..

* * *

أرض المزّة واللّوان

قال البدري: إن حكماء اليونان لمّا رأوا الجانب (الغربي) يصلح لزراعة الأزهار والشجر اختاروه لزراعة الأشجار والورود التي نمت وروّحت

بطيبها وزكاوة عطورها أنفاس دمشق، **وأزاحت أشـجارها ظـل الحـرّ عـن المدينة** .

* * *

غيضة السلطان

غابة من أشجار الحور الكثيفة الظليلة لا يستطيع الإنـسان أن يـدخل فيما بين الأشجار لانضمام بعضها إلى بعض، فكأنها قوالب من الشمع .

البدري

وتقع الغيضة الـسلطانية هـذه تحـت نهـر ثـورى شرقـيّ النيربـين . وكانت من أحسن الأماكن للنزهة الصيفية **لكثرة ظلال أشجار الحور** التـي يتلاعب بأوراقها النسيم، فيكسب الجالس جميل الظـل وصـوت خشخـشة الورق وخرير ماء النهر .

ومكان هذه الغيضة اليوم مـا بـين شـارع أبي رمانـة وشـارع المـالكي جنوبيّ النهر .

* * *

غوطـة دمشـق

واحة قديمة وروض من رياض الخالق غرسها الإنسان بنفـسه جـيلاً بعد جيل .ولقد كانت موجـودة عنـد قـدوم زمـن الفـتح الإسـلامي أيـام الرومان .

ويروى عن الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك أنه كان نهماً، فجـاءه بستاني ليضمن بستانه هذا، فقال : ارْكبْ إليه أولاً، انْظُر فاكهته، ثم نضمنّك إيـاه .

ركب السلطان، ولمّا دخل إلى بستان الرجل بدأ يأكل من كلّ ثمر رآه، حتى ما خلّى فيه من البندق الأخضر والفستق ..الخ .

البدري

وللحق يُقال : إن سليمان بن عبد الملك اختطّ وزرع الكثير من بساتين الغوطة الشرقية .

وتعتبر الغوطة من أخصب البقاع في العالم . وكانت مجالاً للنزهات والسيارين، بخاصة أوائل فصل الربيع وقد تكون مناظر تفتح أزهار الخوخ والمشمش والدراق وانتشار أزهار شقائق النعمان في أرض من البساط الأخضر منظراً فريداً تختلط فيه الألوان .

والمعروف عن هذه الجنة التي تحيط بدمشق أنها كانت تزرع كلّما احترقت أشجارها لتعود فتُظلَّ المُتَنَزّهين في نزهاتهم ولهوهم البريء الممتع .

وبالرغم من التوسع العمراني والظروف البيئية، وبعض سني القحط، كانت غوطة دمشق وما زالت لما لها من تراب خصب **مهيأة لنمو الأشجار السريع**، ولزراعة أحسن أنواع الفاكهة نكهة، **ولإضفاء الرطوبة على المحرورين** .

* * *

التخلّص من الحرّ
في المنازل الشرقية

أنمــوذج
البيــت الدمشــقي



أســوار البيــوت

سور البيت الشرقي ولا سيّما ما يلي الحدائق، يكـون مرتفعـاً، يفـصل المنزل عن العالم الخارجي لأسباب متعددة، منهـا اسـتقلالية سـكّان المنـزل وحريتهم في التنقل واللباس .

ويكون السور المُطل على الحارة أو الشارع أصمَّ في قسمه الـسفلي، في حين تُبنى غرف الـدار العليـا لتكـون جـدرانها الخارجيـة المبنيـة اسـتمراراً للسور، ذات نوافذ متعددة قد تكون متروكة دون سواتر خشبية، وقد تكون في الأحياء الأشد قرباً محمية بالمشربيّات التي سوف نأتي على ذكرها .

وفي دمشق بيوت صغيرة وبيوت واسعة كبيرة تُطلّ وتمتـدّ مـن شـارع إلى شارع آخر - وذلك تـابع للمقـدرة الاقتـصادية لكـل أسرة، وللتأسـيس الاجتماعي الذي كان مبنياً عـلى الـتلاحم الـسكني وبقـاء الأولاد في الظـلّ الأبوي (لسيد الأسرة الأكبر سناً .

والبيوت الصغيرة لا تتميّز بوجـود سـور حجـري إلّا إذا كـان البنـاء مستفيداً من سور أثري مبني بالحجر الصخري الكبـير الحجـم، بينـما يقـوم نظام البيوت الكبيرة على التأسيس الحجري ذي البوابات الضخمة الخـشبية التي يفتح فيها باب صغير يُدعى) خوخة (.

وهذه الأسوار المؤسسة للبناء تقوم **بشكل ممتاز بتوفير البرودة اللازمة** لسكان المنزل، وتُعتبر) **صادات رياح ممتـازة (ومانعـة لحـرارة الـصيف مـن التسرّب .**

إنَّ تقارب البيوت في الحارات و**تباينها في الارتفاع** بين طبقة وثلاث طبقات **يوفر الحماية من الحرارة الصيفية ويوفر الرطوبة** بحكم **اختلاف** المجاري الهوائية .

ندخل الدار الشرقية في دمشق القديمة ليفاجئنا عالم آخر مختلف اختلافاً كلياً عن العالم الخارجي للمنزل .

* * *

الباحة أو أرض الديار

تنتشر **الباحات في كلّ منزل** لتكون بمثابة رئة تتنفّس منها دمشق . وأرض الديار هذه **أو رئة المنزل** مربّعة أو شبهِ مستطيل وتتوسط الدار الشرقية، لتُطِلّ جميع الغرف عليها مستفيدة من الضوء **والتنوع الرائع النباتي والرطوبة الرائعة** .

وقد يكون للمنزل الواحد باحتان أو ثلاث، وبل ربما أكثر كما هو الحال في بناء «مكتب عنبر المثالي الجمالي .

والباحة الخارجية تكون لاستقبال الرجال، لأن «السلاملك «أي غرفة الاستقبال الكبرى، تكون مبنية في صدارتها ولا بد من وجود بحرة « صغيرة في منتصفها، بل **سواقي جارية توفّر الرطوبة التامة للقسم الخارجي** من البيوت الشامية الكبيرة .

وبين الباحة الصغيرة وباحة المنزل الأساسية التي هي أرض الديار وهي تعني **المركز والوطن الأصغر** يكون **الدهليز الشرقي** ومن الواجب تأكيد(*) أهمية الدهليز الدمشقي قبل أن نلج إلى باحة الدار الأصلية .

(*) سبق ذكر الدهليز في بيوت حلب وهي موجودة في بيوت حمص وحماة وغيرها من المدن السورية



البحرة

م ـ صُمِّم البيت الدمشقي تصميماً يتيح دخول الشمس من الشروق إلى الغروب .

* * *

الباحات المنزلية وانكسارات الشمس

تستفيد الباحة المتوسطة في منازل الشام من) انكسارات الأشعة الشمسية (فشعاع الشمس مؤلف من سبعة أطياف لونية لا تتساوى ، فالأزرق بارد والطيف الأحمر حار .

والذي يحدث عند وصول أشعة الشمس إلى أرض الديار هو انفراج الأطياف الشمسية، فيسقط الأزرق البارد في صحن الدار المُرَخّم البارد أو المحجّر البارد، في حين يبقى الطيف الحار مرتفعاً .

د ـ زياد الجندي ـ فيزياء نووية

الإيــوان

يُزاد إلى الهندسة الإعجازية التي بنت البيوت القديمة في بـلاد الـشام وفي الشرق قديماً **الإيوان أو الليوان** كما يُدعى في دمشق . وهذا الإيـوان يعـدّ **منطقة أمان أخرى من الشعور بالحر**، تحول دون الشعور بـالانغلاق المكـاني المستور للمنزل .

والإيوان عبارة عن (فجوة) تمثل غرفة لم يُشَدْ جدارها نحـو الباحـة، أي : هو غرفة لا حائط رابع لها . ويكـون الإيـوان مرتفعـاً عـن أرضـية الباحـة مرصوفاً بالرخام، مرتفع السقف بما يتعدّى الطابق السفلي للمنزل أو يوازيه .



الإيوان أو الليوان

ويطل فراغ الإيوان على الباحة والمزروعات الخـضراء والمـاء الخـافق سواء كان من البحرة أو من الساقية **وكلّ ذلك خافض لحرارة جو الـصيف**

الكثيفة .وفي فترة انحسار الشمس عن الإيوان يجلس أهل المنزل على تكايا موضوعة فوق المنصات المبنية في طرفي الإيوان، أو يجلسون فوق المقاعد، وفي عمق الإيوان، في البيوت الكبيرة الثرية كانت توجد **منافذ لشلّال مائي صغير ينحدر ضمن جوف من الرخام المنقوش** أما أُطُر الشلال الصغير فتكون من الجص المنقوش المزركش .

والجدران الداخلية للإيوان المطلّة عليها نوافذ غرفة المعيشة وغرفة الاستقبال النسائية الواسعة ذات (الطظر) (أي) (الارتفاع) (بين مستويات الأرض، هذه الجدران إمّا حجرية تكون كما هي، وإمّا لَبنيّة (تطلى بالجص الأبيض) (الذي يعكس أشعة الشمس، فيحمي الجدران من تخزين الحرارة .

و (يعتبر الإيوان الوسيلة الرائعة للتخلّص من الحرّ في المنزل الدمشقي وأمثاله من المنازل في الشرق ».

* * *

القاعات

تمتاز العمارة في بيوت دمشق القديمة صغيرها وكبيرها بوجود غرفة تدعى «القاعة» معدّة لاستقبال الضيوف .وكلما ازداد الثراء والمكانة الاجتماعية للناس توسعت قاعاتهم، وكثرت في غرفها (الطزرات) (*) و (الفسقيات) (و) (الكنن) .

(*) الطزر :كلمة مقتبسة وهو بناء يرتفع عن صعيد الأرض ومبنيّ في قاعات الاستقبال في البيوت الشرقية، بعد مسافة أقل ارتفاعاً تتوسطها فسقية للماء وذلك اهتماماً براحة الزائر وتبجيله .وتكون (الطزرات) (وهي جمع طزر، مبنية من رخام كالأرضيات المرتفعة عن مدخل القاعة من جهات المجلس، وتفرش بالسجاد .

القاعـــة :

يلج الضيوف إلى القاعة مـن (الإيـوان) أو مـن الباحـات في المنـازل الأثرية المتعددة الغرف .

وتكون القاعة **عالية السقف** حتى تُطلّ نوافذها على الطبقـة الثانيـة أو على العراء في أرض الـديار الـذي يقابلـه العـراء الخـارجي و**هـذه النوافـذ المتعددة لها آلية تجديد الهواء وتبديله .**

* * *



الفُسْقِيّة

داخل القاعات في المنازل الكبيرة كان لا بـد مـن (الفـسقيات) وهـي بحرات قليلة الارتفاع يستمر جريان الماء فيها بأشـكال لولبيـة هندسـية، أو بتغيّر الماء بوساطة النوافير اللطيفة .

و (الفسقيات) تقوم بترطيب الجوّ الداخلي للقاعات الكبرى، وتكون في مكان استقبال (السلاملك) المُعَد للرجال، وفي قاعة الاستقبال داخل المنزل ذات السقف المرتفع، والنوافذ العالية المتواجهة .

والفسقيات ذات الرذاذ اللطيف هي التي كانت تؤمن التبريد الجميل والطبيعي للمنازل الشرقية وبخاصة الدمشقية (*) .

* * *

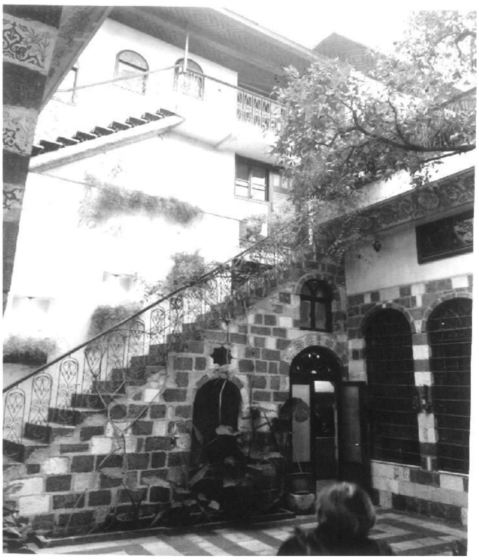
بحرات دفاقة تحت السلالم الحجرية للمنزل الشامي

من خلال الباحات المنزلية كانت تتوزع السلالم الحجرية الصاعدة إلى الطبقات العلوية (**ذات الأروقة**) وكانت الغرف العلوية معدّة للنوم وللشتاء . والأروقة ذات فائدة شتائية صيفية يهمنا منها هنا فائدتها الصيفية في **حجب نور الشمس المباشر، تحقيق** تجوّل **التيارات الهوائية الباردة** .

نعود فنقول : إن الصعود إلى الأعلى كان بوساطة السلالم الحجرية التي تليها، أو بما يكون بديلاً عنها من سلالم خشبية داخلية تؤدي إلى الطبقة العليا .

والحجرية منها المبتدئة من أرضية الدار كان في مثلث زاويتها بين الأرض والسُلّم الحجري فجوة داخلية فيها **بحرة ماء يتوافد إليها رَطِبُ الماء باستمرار**، وبخاصة في المنازل ذات الأرضيات الهوائية الصغيرة، أو في المنازل ذات السلالم الخارجية الحجرية .

(*) من أجمل فسقيات دمشق فسقية في (متحف دمشق التاريخي) الذي كان ملكاً للمرحوم خالد العظم .



رذاذ ماء تحت بيوت الدرج

وهــذه البحــرات **كانــت تــساهم في ترطيــب الجــو في المنــازل** ذات أرضيات الديار (الصغيرة الحجم نــسبياً، ومــن ثــم كانــت عــاملاً مهــماً في **ازدهار النباتات الصيفية** وعرائش (الياسمين (١) و(المجنونة (٢) و(الساعة (٣) في المنزل .

* * *

السواقي المنزليـة

كانت السواقي المنزلية الصغيرة الجارية تتشعّب في كل بيــوت دمــشق وحدائقها . وغالباً ما تكون السواقي الصغيرة جارية لتــصل إلى (ســلاملك الرجال (وقاعات استقباله الفخمة وقد تكون الساقية جارية مستقيمة، وقد

---

(١) (الياسمين البلدي Lsen inin G rnb itb rm

(٢) (المجنونة : هي الجهنمانية sili bd cepS alli vi aguo B

(٣) (زهرة الساعة Passitb raV io lacea

تكون ملتوية متداخلة بين جدار وجدار، لتصل إلى المكان المطلوب .وربما حُمِّلت عليها الصواني الخشبية التي تحمل الأشربة والطعام إلى الضيفان من المطابخ الداخلية حتى قاعات الاستقبال .وقد أكد ذلك ما **ذكره الشيخ محيي الدين ابن عربي عن وليمة أَعَدَّها له أحد قضاة دمشق .**

ذكر جان كلود داڤيد في كتاب «دمشق «قسم المطبخ وكيف تأكل دمشق »التالي :

الشيخ محيي الدين ابن عربي :

«عندما زارَ الشيخ محيي الدين ابن عربي منزل أحد القضاة في دمشق عام ١٢٠٠ م شاهد ساقية جارية في المكان الذي اتخذ فيه مجلسه .قال :لم أفهم وجود ساقية الماء، إلى أن أقبلت نحونا صينية خشبية عائمة من داخل المنزل تحمل الطعام، فتناولها الخادم ووضعها أمامنا .وحين انتهينا وضع الخادم الأطباق فوق الصينية الخشبية فانطلقت مع الماء إلى داخل المنزل من جديد، حيث تقيم النساء دون أن يكون النادل مضطراً إلى الاقتراب من قسم الحريم .ولقد وجدتُ ذلك رائعاً ».

الحادثة مكتوبة نقلاً عن داڤيد
وفي كتاب :حضارة الطعام في بلاد الرافدين والشام
للمؤلفة -الجزء) (ص)٧٢ (

م :توفي ابن عربي عام ٦٣٨ هجرية الموافق ١٢٤٠م .

* * *

الناموسية -أو -الكلّة

غالباً ما تستعمل الناموسية لطرد الحشرات والهوام أثناء النوم، وهي عبارة عن قماش ناعم من «التول »يفرش كمظلة فوق الفراش، ويكون مثبتاً في سقف الغرفة .

لكن الليالي الحارة الشرقية التي لا ترحم تجعل البعض **يبللون هذه الناموسيات، ثم ينفضونها من الماء قبل أن تعلّق وتُفرش**، لتعطي النائم هذا **التسرّب النسيمي الجميل الناعم المنعش**، الذي يصل من خلال القماش الشفاف ذي الثقوب الحياكية الشديدة الصِغَر التي بُلِّلت بالماء، بحيث **يتحول الهواء الحار الخارجي إلى هواء منعش بعد اصطدامه بالماء أو ما تبقى منه من رذاذ عالق في القماش**، ليحصل ذاك **الانتعاش الصيفي** الذي قد تهبه الطبيعة أحياناً لسكان بلاد الشام .

* * *

قاعات فوق جسور الأنهار

ينقسم نهر بردى إلى سبعة أنهر كانت تروي مدينة دمشق وغوطتها . وقد اختط يزيد بن عبد الملك نهراً فوق نهر ثورى (الغارق في القِدم فَسُمّي باسمه وقد اختطه يزيد لريّ بساتين صالحية دمشق .

وقد درج أهل المدينة في نظامهم المعماري على بناء جسور يبنون فوقها مخادع (أي غرفاً مبنية فوق النهر، من أصل المنزل . وتكون هذه المخادع مطلّة على النهر من جانبيها حتى **توفر رطوبة** صيفية لا مثيل لها، كأن الغرف المقامة تلك تخوت مائية مقامة فوق قناطر في ضفتي النهر .

وتوزع الشبابيك متقابلة في تلك القاعات الرائعة التي تُستعمل صيفاً **للترويح وتخفيف الحرّ**، وتنعش الجالسين بالمجرى الهوائي المستمر بين شباك وآخر .

* * *

وكانت السواقي المتشعبة من نهر يزيد تمرّ بين فتحات جدران البيوت وقد تُنقل الفاكهة منها بين جارة وجارة دون الحاجة إلى الخروج من المنزل .



بيوت فوق الأنهار (*)

أما القاعات المقامة فوق نهر يزيد في صالحية دمشق فإن لها ما يشابهها في مناطق دمشق القديمة قرب قلعة دمشق، وفي حي «ما بين السورين» الملاصق «باب الفرج» حيث كان سكّان المنازل **يتلافون الحرّ أيّام القيظ اللافح بالجلوس في تلك الغرف الباردة الرطبة .**

* * *

المَشْرَبيّات

أجمل ما في تلك الجدران الصامتة الدمشقية تلك «المَشربيّات» الموضوعة البارزة نحو الطريق الضيقة للحارة أو الزقاق .

والمشربيّات مصنوعة من الخشب المتشابك الظاهر حتى يستطيع أهل المنزل تبين المارّين في الطريق أو الطارقين لأبواب البيوت .

(*) صورة عن الإنترنت للسيدة سميرة قواص . [كنوز الفن السوري] .

وهذا النمط من «البناء المحافظ» له وظيفة مهمة في **سماحِهِ للهواء العذب بالدخول من بين التشابكات الخشبية المتصالبة،** فيدخل النسيم بالهدوء والحنان اللذين عُرفت بهما دمشق وأهلها، ليلطّف **هواء الغرف العلوية للمنازل؛** لأن الغرف تكون مشرعة النوافذ الداخلية المطلّة على باحة الدار، ممّا يسمح دائماً بمرور تيارٍ هوائي يحرك الانتعاش في الغرف (*).

ومثل هذه المشربيات موجود في مدن حمص وحماة وإدلب وحلب وغيرها في سورية.

* * *

الكِنَـن

في أعلى المشربيّات كانت تبدو «الكنن» (وهي **أفاريز مخرّمة مقامة أعلى خشب المشربيّات** وظيفتها الحماية من المطر، **ومن حرارة الشمس،** وبإمكاننا اعتبارها «**وسيلة أخرى من وسائل التبريد لحجبها شمس الصيف اللافحة**».

هذه المشربيّات منتشرة انتشاراً واسعاً في البلاد الواقعة غربي آسيا وصولاً إلى تركيا، والمغرب الأقصى حيث تنتشر أجمل البيوت وأروع المَشربيّات والكنن. وتشتهر مصر وبلدانها واليمن بتلك المشربيّات الرائعة.

بعض المعلومات عن: فن الزخرفة والخشب في صنعاء
جيمت وبولس بونانفان
ترجمة د. محمد علي قاسم العروسي
منشورات المركز الرئيسي للمنشورات اليمنية في صنعاء
إصدار: دمشق ١٩٩٦

(*) وُجد نظام المشربيات كما ذكرنا في مدن اليمن (صنعاء وتعز) وفي (حضرموت) وفي (أبي القديمة).

القبـــو

يقوم النظام المعماري في بيوت الشام القديمة على وجود بناءٍ سفلي يكون غالباً مؤلفاً من عقودٍ حجرية يقوم عليها هيكل المنزل ـ وهو القبو . وينزل إلى القبو بسلالم حجرية .

والقبو في كلّ المنطقة يُعتبر برّاداً طبيعياً لحفظ الأطعمة في بلاد الشام، ومكاناً للإقامة الصيفية في بلاد الرافدين ـ ففي دمشق كانت المؤن تحفظ في الأقبية فتبقى عدة أعوام ـ وكان البيض الطازج الذي كان يوضع داخل التبن يبقى طازجاً مدّة أربعة أشهر أثناء تعليقه في كبك مرفوع ـ وذلك **لوجود عوامل التبريد اللازمة** في القبو، **ولاختلاف حرارة الجو فيه عن الحرارة الملامسة للأرض المنزلية**، ولوجود بعض **المنافذ الهوائية المطلّة على أرضيات المنازل** .

* * *

النمليـة

كانت الأطعمة تُحفظ إلى عهد قريب ضمن خزانة خشبية في المطبخ تدعى «النملية» ـ وللنملية وظيفتان :

الأولى : حفظ المأكولات من الحشرات و «النمل» .

والثانية : حفظ الطعام من الفساد ـ ذلك أن النملية مفتوحة من ثلاث جهات من أربع، مصونة بشبك معدني يدعى «النخل» ـ هذا الشبك الناعم

يوفر التهوية الملائمة للطعام المطهو فيبقى أكبر مدة ممكنة في الصيف، فلا يصيبه التلف والتعفّن والحموضة والفساد .

* * *

الحرارة والفاكهة

تخترق الحرارة الصيفية قشور الفاكهة في الصيف مهما كانت هذه القشور رقيقة أم ثخينة، ومهما كان اللب طرياً أو كثير الألياف، لتصبح درجة الحرارة داخل الفاكهة مشابهة لدرجة حرارة الجوّ الخارجية، بل ربما أكثر قليلاً لانحصار الطاقة الحرورية داخل الثمرة .

وبما أن جسم الإنسان يتطلب السوائل والمآكل بطبيعة الأمر، ويتطلبها باردة في فصل الصيف، بحيث تكون درجة حرارتها أقل من درجة الحرارة الخارجية، ومن درجة حرارة الجسم الداخلية التي تكافح الحر؛ لجأ الإنسان إلى طُرق التبريد المختلفة للفاكهة وللماء في البلاد الحارة كما ذُكِرَتْ .

* * *

تبريد الفاكهة في بيوت دمشق

تُبرد الفاكهة الصغيرة الحجم بفرزها بعضها عن بعض في بداية الأمر . ومن الممكن وضعها في «خلاة» في مكان ظليل في أرض الديار، حتى تأخذ الثمار المتفرقة كمية الهواء المطلوبة من جميع الاتجاهات . ومن الممكن كما أسلفنا وضعها فوق إفريز البركة كي يصيبها الرذاذ المتجدد .

وعند تقديمها من الممكن وضع قطع الثلج (البوظ) أو هريسه فوقها .



بحـرة

أما **العنب فتقطف عناقيده في الصباح البـاكر لكونهـا قـد احتفظـت بنداوة الليل** داخلها، ثم تُغسل وتوضع على إفريز البركة .

وأثناء **السيارين** كانت تُشاهد **ثمار البطيخ عائمة تحت شـلالات المـاء الـشديدة الـبرودة** والمحجـوزة حتـى لا تـذهب الـثمار مـع مجرى الينـابيع والأنهار .

وقد لجأ أهل دمشق إلى طريقة للتمييز بين ثمار البطـيخ العائـدة لكـل أسرة بحفر علامات صغيرة لا تتعدى القشرة أبداً، وكل أسرة كانت تعـرف ثمارتها المميّزة .

وتصبح الثمار في النهاية ثلجيـة اللـبّ بعـد أن تخلـصت مـن حـرارة الشمس المخزونة فيها بفعل ما يـصيبها مـن رذاذ، يـترك عليهـا نقـاط المـاء الرطبة الباردة اللؤلؤية .

وهذا **الرذاذ الرطب هو المبرّد الأول للفاكهة الصيفية** المتنوعـة الجـنس الرائعة الطعم .

سـلام

طبيعية بريئة ومجدية كانت وسائل التبريد والتخلّص من الحر !!

واليوم حُسم الأمر .

ازداد التصحّر، وبُنيت المنازل والأبنية العالية فوق جـذور الأشـجار المقطوعة الميتة . تكاثَرَ البشر في المدن، وهربت القرى بعضها من بعض نحو المدن . أُنشئت مُتَنَزّهات منمّقة مدروسة في المدن الكبرى . وبقيت البيوت في بلاد الشام والرافدين وجزيرة العرب تنهض حدائقها المنظومة حولها .

سـاد الإسـمنت . وكثـرت المـراوح الكهربائيـة والمكيّفـات التـي لا يستغنى عنها . وتغير كل شيء !! بعد أن دفع البشر ثمن ارتياحهم المستند إلى الاختراعات الآلية والكهربائية . دفعوا الثمن مـن صـحة الليـالي الماتعـة الطبيعية الصامتة .

والسعيد السعيد من كان له بيت كبيوت دمشق، بيت له فتحة سماوية، أرضها مرصوفة بالحجر الأبلق، أو بالرخام المُهَنْدس المُلَوّن . بيت فيـه بركـة ماء يدفق عليها من فوهة « سبع البحرة البرونزي » وأشـجار نـارنج وأُتْـرُجّ تتخاطر في الليل، ودالية عنب محمّلة فوق التركيبة الخشبية، تبلّـل عناقيـدها

المتدلية صيفاً نافورة بحرة تتوسط المكان؛ ونبتة شمشير مدلّلة، وياسمينة تعرش نحو دنياها وقلبها المتجه نحو الشمس وبطيخة خضراء باردة تستحم في مياه البركة، في انتظار طعام العشاء لأناس سعداء .

✧ ✧ ✧

بدأت الكتابة عام ٢٠٠٩م، انتهت في ١٣ آب ٢٠٠٩م وانتهيت من التنقيح والإضافات في العاشر من كانون الثاني ٢٠١٥م الموافق في التاسع من شهر ربيع الأول ١٤٣٦ هـ

المصــادر

دمشق تطور وبنيان مدينة شرقية إسلامية   دوروتي زاك

المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام   د جواد علي

ج٥ دار الملايين بيروت

عيون الأنباء في طبقات الأطباء   ابن أبي أصيبعة

ج ١ طبعة أولى

الطبعة الوهبية ١٢٩٩هـ ١٨٨٢م

جريدة الثورة   ٥ ٢٠١

أسماء الينابيع   W ek ipeb ia

معلومات   R eehet Cov . sy

مسيرة الطب القديمة في الحضارات   د جوزيف كلاس

ماري وكاتانا مدينتان قديمتان   ستيفاني داللي

موسوعة حلب   خير الدين الأسدي

الماء في البادية الإنترنت   سليمان الذويح

قصة نسّاجة ماري حكايا صلصالية لنساء ميتات

نادية الغزي دار الأديب دمشق

- عشر مقالات في العين — حنين بن اسحق
- زهرة الأنام في محاسن الشام — أبو البقاء عبد الله البدري
- بحث في تفتّح الفستق — وزارة الزراعة في سورية محاضرة للمؤلّفة أُلقيت في حلب
- عملية الانتقال الحروري - معلومات — المهندس زهير رشيد
- من بساتين بلاد الشام — نادية الغزي
- تقبيلة السخونة (الآفت) ومعالجتها بالتوت
مجلة طبيبك - نادية الغزي
- مدينة ماري : بحث عن صنع بيوت الثلج — AЯUT VE bəMAЯ I
- تأثير الأطياف الشمسية بألوانها في التبريد
د. زياد الجندي . DHP - فيزياء نووية
- البراجيل — الجوهري — عن الإنترنت
- معلومات — السيدة خولة — عن الإنترنت
- مراوح القطيف — العم أبو سلطان — عن الإنترنت
- النقلة الحرورية عملية إنضاج التفاح — معلومات عن د. زياد الجندي
- sraI poS eno S dna ei nar G — Kh lb jba \ b rm S eb y. com
- عرائس التراث - بحث المراوح — نادية الغزي
- الموسوعة العراقية — فاضل القيسي
- ألف شمس ساطعة — خالد حسيني

- كتاب الطائرة الورقية
- صفة جزيرة العرب - الهمداني
- البيت الحلبي - معلومات عن أ. نهى البيك رجب
- لسان العرب المحيط - ابن منظور
- مقالة عن تبريد القتّاء للجوف - جريدة الرياض
- فن الزخرفة الخشبية في صنعاء - بونانفان - ترجمة محمد قاسم العروسي - منشورات المركز الرئيس للمنشورات اليمنية في صنعاء - إصدار دمشق ١٩٩٦
- كنوز الفن السوري (صور ومعلومات) - د. موسى الأسمر
- (فيسبوك) - أ. سميرة قواص
- المراوح في عهد توت عنخ أمون
- حكايات صلصالية لنساء ميتات - نادية الغزي
- طرق تبريد الماء في (الزملة) في دير ازور - أ. نجوى إسماعيل
- كتاب الهلال والنجم (رحلة من بومباي إلى اسطنبول) - أ. لوكر ترجمة: رنا الصالح - تحقيق: د. أحمد إيبش
- التبريد في أسواق فارس - معلومات عن د. زياد الجندي
- تبريد الماء وتحويله إلى بارد عند السقاة (معلومات) في دير الزور - أ. إدموند - مكتبة نوبل - دمشق

- النهر ج ١ ١ كمال الدين الغزّي

- جر المياه أيّام الملكة زنوبيا من نبع الهرمل حتى تدمر عن الإنترنت

- حضارة الطعام في بلاد الرافدين وبلاد الشام

موسوعة نادية الغزي - دار الفكر دمشق

- الزهور والنباتات أرشيف الزهور والنباتات Startimes.com

- (الخابية) في بصرى الشام - معلومات د - محمد قاسم

- الطعام والمبردات عند العباسيين داڤـيد وينر

- كتاب دمشق (بالفرنسية) جان كلود داڤـيد

- أسواق دمشق د - قتيبة الشهابي

- قناة المنـار .

- المواقع الجغرافية معلومات عن الجغرافية عماد خليل برقاوي

الموقع الجغرافي حسب خطوط الطول والعرض
لسورية، ولبنان، وفلسطين، والعراق، وشبه الجزيرة العربية

سورية		١٩َ ٣٢°	←	٢٠َ ٣٧°	شمالاً	خط عرض
		٤٣َ ٣٥°	←	٢٥َ ٤٢°	شرقاً	خط طول
لبنان	بين	٣٥°	←	٣٦°	شرقاً	خط طول
		٣٣°	←	٣٤°	شمالاً	خط عرض
فلسطين		١٥َ ٣٤°	←	٤٠َ ٣٩°	شرقاً	خط طول
		٣٠َ ٢٩°	←	١٥َ ٣٣°	شمالاً	خط عرض
العراق		٤٥َ ٣٨°	←	٤٥َ ٤٨°	شمالاً	خط عرض
		٣٠َ ٢٩°	←	٢٣َ ٣٧°	شرقاً	خط طول

شبه الجزيرة العربية

٤٠َ ٣٤°	←	٤٠َ ٥١°	شرقاً	خط طول
١٢َ ٣٢°	↙		شمالاً	خط عرض
٣٠َ ١٢°	↖		جنوباً	خط عرض

تتحدد خطوط العرض بالنسبة لخط الاستواء شمالاً أو جنوباً
وتتحدد خطوط الطول بالنسبة لغرينتش شرقاً أو غرباً

لذا نلاحظ أن خط الاستواء يخترق سلطنه عُمان شمالاً وجنوباً .
وخط العرض الجنوبي في عمان يكون فيه خط الاستواء قد اخترق الجزء القليل من جنوبها.

تُعتبر سورية ولبنان وفلسطين والعراق مناطق شبه جافة إلاّ في أعاليها الخصبة وسواحلها. وتتصل فيما يُسمّى)البادية (مع)الصحراء (في شبه الجزيرة العربية، بحيث تُعتبر مناطقَ أكثر جفافاً وحرارة.

)من الجغرافي الأستاذ عماد خليل برقاوي (

المحتوى

الصفحة

ظاهرة الانتقال الحراري السريع

الينابيع

الأشربة المبرّدة بالثلج

الصخور والمغاور والأحجار

المنتجات الحيوانية المُبَرِّدة

الناتج الحيواني المستعمل في بناء

الخيام البيوت المظلات الأكواخ المضارب الفسطاط

المناطق الحارة والمتربة

ملفات شرقية شماليّة شاميّة سوريّة

السواحل وبيوت بلاد الشام

طرق تبريد المشروبات والماء

في الأرياف والمدن الشرقية

بلاد الشام الداخلية

تلافي الحرّ في حارات وأسواق المُدُن الشرقية قديماً

الأسواق والخانات

المُتَنَزّهات الدمشقية

التخلّص من الحرّ في المنازل الشرقية

أنموذج البيت الدمشقي

نادية محمَّد سعيد الغزّي

- مواليد دمشق ١٩٣٥م .
- إجازة في الحقوق من الجامعة السّوريّة ١٩٥٥م .
- دبلوم في القانون العام .
- **بعض المؤلَّفات :**

- من بساتين بلاد الشَّام «وثيق تُراثيّ لفاكهة الشَّام تراثاً وطبّاً وصيدلة .
- حكايا صلصالية لنساء ميتات .
- موسوعة حضارة الطعام في بلاد الرافدين وبلاد الشّام ١ ﻫ .
- هذيان هرّ مصاب بالاكتئاب .
- عرائس التراث .
- أسرار في صناديق الحياة الزّوجيّة .
- أزيحي الرِّمال يا عشتار .

الطبعة الأولى ٢٠١٧م